القيم الأخلاقية والسلوكية

بين تعاليم عنخ شاشنقي في مصر

وزرادشت في إيران

دراسة مقارنة

دكتوره

سوزان عباس عبد اللطيف

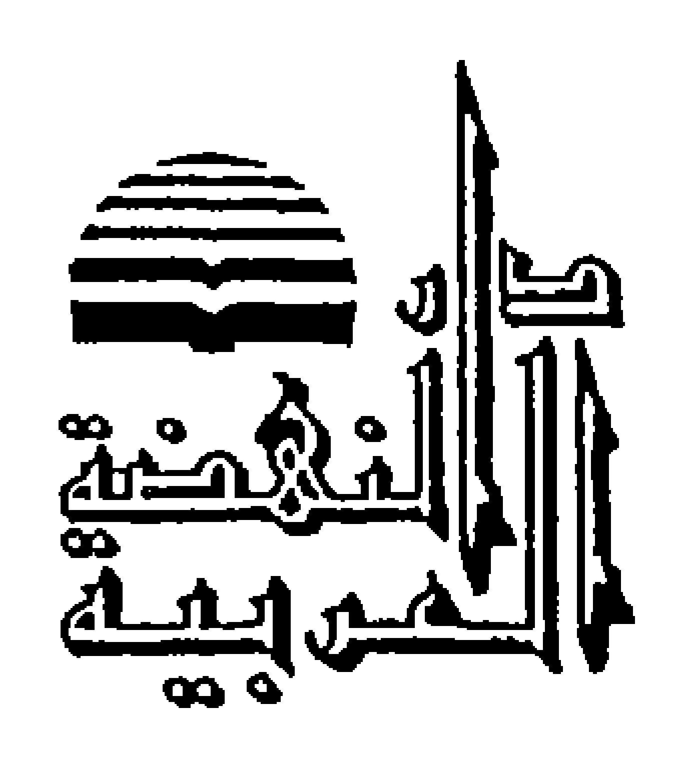


القيم الأخلاقية والسلوكية
بين تعاليم
عنخ شاشنقي في مصر
وزرادشت في إيران

دراسة مقارنة

القيم الأخلاقية والسلوكية
بين تعاليم
عنخ شاشنقي في مصر
وزرادشت في إيران
دراسة مقارنة

دكتورة سوزان عباس عبد اللطيف
أستاذ التاريخ القديم
كلية التربية ـ جامعة الإسكندرية



رقم الكتاب : 19130
اسم الكتاب :القيم الاخلاقية والسلوكية بين تعاليم عنخ شاشنقي في مصر وزرادشت في ايران
المؤلف : د. سوزان عباس عبد اللطيف
الموضوع : تاريخ
رقم الطبعة : الأولى
سنة الطبع : 2002 م، 1422 هـ
القياس : 17 × 24
عدد الصفحات : 138

منشورات : **دار النهضة العربية**
بيروت – لبنان

الزيدانية – بناية كريدية – الطابق الثاني
تلفون : 736093/743167/743166-1-961+
فاكس : 736071/735295-1-961+
ص ب : 0749-11 رياض الصلح
بيروت 072060 11 – لبنان
بريد الكتروني : e-mail:darnahda@cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

صدق الله العظيم

الإهـــــداء

إلى والديّ عرفاناً بفضلهما

متعهما الله بالصحة والعافية



المقدمـــة

تمثل القيم الأخلاقية والسلوكية، المثل العليا وقواعد الأخلاق والسلوك التي تحدد للناس طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وتكفل لهم سبل النجاح وحسن الاختيار والتضامن والتكافل كما أنها تعمل على تنشئة أبناء المجتمع على أسس أخلاقية وسلوكية تتيح لهم الإنصهار في بوتقة المجتمع الذي يعيشون فيه في إطار من المحبة والاحترام والبعد عن الأخطاء والآثام.

وتشير القيم الأخلاقية والسلوكية ومدى تمسك المجتمع بها إلى طبيعة الحياة في المجتمع الذي تتواجد فيه، وهي تعتبر دليلاً على ارتفاع المستوى الأخلاقي لأبنائه، وتمتزج التعاليم الأخلاقية والسلوكية بصورة مباشرة بالتقوى والتعاليم الدينية، بحيث يصبح من الصعب إن لم يكن من المستحيل الفصل بينهما.

وتتناول هذه الدراسة موضوع القيم الأخلاقية والسلوكية، دراسة مقارنة بين مصر وإيران، وذلك من خلال تعاليم الحكيم عنخ شاشنقي في مصر، وما ورد من قيم أخلاقية في عقيدة

الحكيم زرادشت[1] في إيران، ويرجع السبب في اختيار هذين النموذجين إلى التقارب بينهما في الناحية الزمنية مما يجعل الدراسة المقارنة معبرة بصدق عن طبيعة هذه القيم في كل من المجتمعين المصري والإيراني خلال هذه المرحلة الزمنية من التاريخ، كما يرجع سبب اختيار هذين النموذجين أيضاً إلى قلة الدراسات التي تناولت تعاليم عنخ شاشنقي، وكذلك التعاليم الأخلاقية عند زرادشت، ويضاف إلى ذلك أن هذه المرحلة الزمنية في مصر قد شهدت حدوث تطورات كثيرة داخل المجتمع المصري نتيجة للتطورات السياسية في منطقة الشرق الأدنى القديم خلال هذه المرحلة، واختلاط المصريين بالأجانب الذين عملوا في كثير من المجالات واتصلوا بالمجتمع المصري، اتصالاً مباشراً، وهو الأمر الذي أدى إلى حدوث بعض المتغيرات في الأفكار والعقائد والسلوك.

---

(١) أطلق عليه العرب التسمية «زرادشت» وهو اسمه في الفارسية الحديثة، وكان اسمه في الفارسية القديمة (لغة الأسفار المقدسة المسماة: الأبستاق) «زراتشترا» وتكتب التسمية في الفهلوية (اللغة الفارسية في مراحلها المتوسطة) «زراتشت».

انظر:

علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٤٧.

وكانت التعاليم المصرية القديمة التي تشغل جانباً كبيراً من الدراسات الأدبية المكتوبة والشفهية في جوهرها مجموعة من المعايير الأخلاقية والسلوكية يرجع إليها الإنسان المصري في أمور حياته، كما أن عقيدة زرادشت قد اشتملت على مجموعة من المثل العليا والسلوكيات والمبادىء الأخلاقية التي تثير الانتباه أكثر مما تتضمن من مبادىء وتعاليم دينية، ولقد وردت هذه التعاليم الأخلاقية والسلوكية متناثرة ومتداخلة في تعاليم زرادشت الدينية، حيث تمثل الديانة الزرادشتية تطوراً جذرياً في العقائد الروحية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، حيث أنها استجابة طبيعية لمتطلبات مجتمع كان قد تطور روحياً ومادياً، وهي تعتبر خطوة حاسمة في مراحل تطور المجتمع الإيراني.

وسنتناول في هذه الدراسة عدة موضوعات رئيسية، يتصل الفصل الأول منها بالتحديد الزمني والسمات المميزة لكل من تعاليم عنخ شاشنقي وتعاليم زرادشت، أما الفصل الثاني فهو عن مكانة الآلهة وفضيلة التقوى، والفصل الثالث يتصل بالحث على العمل، والفصل الرابع عن حسن المعاملة، والخامس عن معاملة الزوجة، والسادس عن الالتزام الخلقي ويتضمن العديد من الموضوعات وهي احترام العهد والتحذير

من الدَّيْن، والتزود بالعلم والمعرفة، والحق والصدق والأمانة، وعدم الاعتماد على الآخرين، والدعوة إلى عدم اليأس والرضا بالقدر، وإعطاء أجر العامل وأخيراً العدالة. أما الفصل السابع والأخير، فيتضمن ما تنفرد به كل من تعاليم عنخ شاشنقي وزرادشت.

وأرجو من العلي القدير أن أكون قد وفقت فيما هدفت إليه من هذه الدراسة المقارنة للقيم الأخلاقية والسلوكية في كل من مصر وإيران من خلال دراسة الفكر الإنساني عبر هذه المرحلة الزمنية. والله ولي التوفيق.

أ. د. سوزان عباس عبد اللطيف

بيروت في

الأول من رمضان ١٤٢٢ هـ

السادس عشر من نوڤمبر ٢٠٠١

الفصل الأول

التحديد الزمني والسمات المميزة لتعاليم عنخ شاشنقي وزرادشت

فيما يتعلق بتعاليم عنخ شاشنقي[١]، فإن النسخة التي وصلتنا منها مكتوبة بالخط الديموطيقي، وهذه البردية محفوظة حالياً ضمن مجموعة الآثار المصرية والسورية في المتحف البريطاني تحت رقم ١٠٨٠٥ منذ عام ١٨٩٦ م، والحالة العامة للبردية جيدة، رغم فقدان أجزاء منها حيث تعرض الطرف العلوي منها للتلف طولياً، وذلك بالإضافة إلى وجود فجوات في بعض أجزائها.

ويتكون النص الموجود على البردية من سبعة وعشرين عموداً ونصف، والنص مكتوب بإتقان وبخط واضح ويتشابه إلى حد ما مع البرديات الديموطيقية الأخرى المعروفة مثل بردية Petubastis [٢] وانسنجر Insinger [٣] التي كتبت في القرن الأول قبل الميلاد، بينما ترجع محتوياتها إلى الجزء الأخير من

---

(١) S.R.K. Glanville, Catalogue of Demotic Papyri in the British Museum, vol II, Part I, London, 1955, p. xi-xii.

(٢) W. Spiegelberg. Der Sagenkreis des Konigs Petubasdtis, Leipzig, 1910.

(٣) F. Lexa, Papyrus Insinger, Tome 1er. Texte, Transcription, traduction et commentaire, Tome II. Vocabulaire, étude historique et grammaticale, Paris, 1926.

العصر البطلمي. ولا يوجد دليل مؤكد نستطيع الاعتماد عليه لتأريخ نسخة البردية الموجودة بين أيدينا، ويرى جلانفيل Glanville أنه يمكن تأريخ هذه البردية بالنصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد وذلك اعتماداً على شكل العلامات ووجود تشابه ظاهري بينها وبين البرديات الديموطيقية المعروفة والتي تنتمي إلى النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد[١]. بينما يرى آخرون[٢] أنه يمكن إرجاع تأريخ هذه النسخة إلى فترة مبكرة قليلاً عن تاريخ Glanville، وذلك في القرن الثاني قبل الميلاد.

أما فيما يتعلق بتأريخ محتويات البردية والتي بدأت بمقدمة روائية في شكل قصة، ثم تتابعت بعد ذلك تعاليم الحكيم المصري، فإن Glanville [٣] يرجح أنها كانت نسخة لأصل قديم كتب في تاريخ سابق عن البردية التي كشف عنها، وأن تأريخ كتابة الأصل يرجع على الأرجح إلى القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد وذلك اعتماداً على الأدلة الآتية:

أولاً : ظهور الطابع المصري واضحاً في محتويات البردية وذلك فيما يتصل في الإشارات العديدة للملك

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., p. xii.

(٢) H.S. Smith, «A Cairo text of part of the instructions of Onchsheshonqy» in JEA, 44, 1956, p. 122.

(٣) S.R.K. Glanville, op. cit., p. xii.

المصري بما يتفق ومكانته في مصر وكذلك الإشارة إلى مجلس الملك وحاشيته والقواد وذلك حسب مراتبهم في القصر الملكي في منف.

ثانياً : الإشارة إلى الكهنة والموظفين ومكانتهم وذكر أسمائهم المصرية والمناصب الرفيعة التي تقلدوها، وهي استمرار للأسماء والوظائف التي كانت موجودة في مصر.

ثالثاً : الإشارة باستمرار إلى الإله رع وبعض الآلهة الأخرى مثل نيت بما كان لها من مكانه خلال التاريخ المصري القديم.

رابعاً : الإشارة إلى الاحتفال بعيد تتويج الفرعون على العرش وهو تقليد مصري قديم.

خامساً : أن اسم صاحب البردية هو «عنخ شاشنقي» لم يكن معروفاً في مصر قبل عصر الأسرة الثانية والعشرين.

سادساً : وجود تشابه في طابع وروح هذه التعاليم مع تعاليم آني التي تؤرخ بعصر الدولة الحديثة، أكثر من تشابه تعاليم هذه البردية والتعاليم الواردة في بردية انسنجر والتي ترجع إلى أواخر العصر البطلمي(١).

---

(١) =Richard, A. Parker, Revue D'Egyptologie publece par la Societé

سابعاً : أن نص البردية وما ورد بها من تعليمات يكاد أن يكون خالياً من الفساد الأخلاقي الذي كان شائعاً أثناء الحكم البطلمي.

ثامناً : في ضوء التركيب اللغوي لمحتويات البردية فإنه من المرجح أن لا يكون مكتوباً قبل القرن الخامس ق.م.

وعلى ذلك، فإن الباحثة ترجح أن التاريخ المحتمل لكتابة تعاليم عنخ شاشنقي هو القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد.

أما فيما يتعلق بالحكيم الإيراني زرادشت، فقد اختلف الباحثون حول زمان مولده، فقد اتجه المؤرخون اليونانيون إلى القول بأنه قد ظهر قبيل أيامهم بحوالي خمسة أو ستة آلاف عام[١]، بينما ترى التقاليد الفارسية أن ظهوره لم يكن أبعد من القرن السابع ق.م، وذلك قبل الإسكندر بحوالى ثلاثمائة عام وذلك في الفترة من ٦٦٠ ـ ٥٨٣ ق.م[٢]، ويتجه معظم الباحثين إلى الاعتقاد بأنه قد ولد في النصف الثاني من القرن

= Française D'Egyptologie, Tome 13, Paris, 1961, p. 133.

(١) G.B. Cray and M. Cary, «The Reign of Darius» in CAH., vol. IV, Cambridge, 1930, p. 207.

(٢) Ibid., p. 207.

السابع ق.م. وتوفي في النصف الأول من القرن السادس ق.م[1]، بينما يرى آخرون أنه بدأ دعوته في منتصف القرن السادس ق.م[2].

ومن العرض السابق لمحاولات التحديد الزمني لتعاليم عنخ شاشنقي في مصر ولمولد زرادشت ودعوته في إيران يتضح التقارب الزمني بينهما.

وفيما يتعلق بعنخ شاشنقي والظروف التي كتب فيها هذه التعاليم فقد ذكر في مقدمة تعاليمه التي جاءت في شكل رواية أدبية تميز أسلوبها بالبساطة وقلة المفردات[3]، أنه قد تم سجنه بدفني لاتهامه في مؤامرة ضد الفرعون، ولكن لسوء الحظ توجد فجوات في الجزء الأول من العمود الأول والثاني لم تمكننا من معرفة تفاصيل هذه المؤامرة وطبيعتها، ومن هذه المقدمة نعلم أن عنخ شاشنقي كان كاهناً للإله رع في مدينة أون، ولقد جاء لزيارة صديق صباه الذي يدعى حارسيس بن راموس في منف وكان يشغل منصب كبير أطباء الملك، وقد أتى إلى صاحبه

(١) A.V.W. Jackson, Zoroaster, the Prophet of Ancient Iran, N. y. 1919.

(٢) A.T. Olmstead, History of The Persian Empire, Chicago, 1966, p. 94.

(٣) عبد العزيز صالح: التربية والتعليم في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٦١، ص ٣٥٥.

لتعرضه لمشكلة شخصية، وقد أخبره حارسيس أنه ومجموعة من الحاشية يدبرون لقتل الفرعون، ولم ينجح عنخ شاشنقي في جعله يتراجع عن هذه المؤامرة، وعندما نما إلى علم الفرعون أمر هذه المؤامرة وما دار من حوار بين عنخ شاشنقي وحارسيس، عقد المجلس الملكي في قصره بمنف، وتم توقيع عقوبة الموت على كل من اشترك في هذه المؤامرة، أما عنخ شاشنقي فقد تم إرساله إلى سجن دفنى وكانت التهمة الموجهة إليه أنه لم يخبر الملك بأمر هذه المؤامرة عندما علم بها من حارسيس بن راموس.

وعندما قام الملك بإطلاق سراح كافة المسجونين في دفنى بمناسبة الاحتفال بيوم اعتلائه للعرش، لم يتم الإفراج عن عنخ شاشنقي الذي أدرك أنه سوف يمكث في السجن، وحينئذٍ أراد أن يثقف ابنه بهذه التعاليم، وكان يطمع في أن يعثر ولده على حكيم من حكماء المدينة ليفسر له محتوياتها بعد أن تقطعت أسباب الاتصال بينه وبين ولده، كما أنه أراد أن تكون شفيعاً لولده عند حكماء المدينة حين يدركون أنه نجل حكيم نابه من زمرتهم[١]. وعندئذٍ طلب عنخ شاشنقي من حارسه أن يحضر له أدوات الكتابة ولفافة من ورق البردى ليكتب عليها

(١) Licheim, M., Ancient Egyptian Literature, vol., III, California, 1978, p. 161-169.

وصاياه لابنه، فسمح له الفرعون بأدوات الكتابة، ولكن لم يسمح له بالبردى، فكتب عنخ شاشنقي ما كتبه على كسرات من الأواني التي تجلب إليه في سجنه مملوءة بالخمر.

ويرى بعض المؤرخين أن هذه المقدمة ليس لها أصل تاريخي[1]، وأن هناك تناقضاً بين محتويات التعاليم وبين هذه المقدمة، فالتعاليم كانت موجهة لفلاح مزارع، بينما جعل كاتب التعاليم نفسه شخصية لها أهميتها فهو صديق حميم لكبير أطباء الملك، وأنه كان قريباً من الفرعون فقد أكل خبزه، وكان قريباً من القصر الملكي، على الرغم أنه لم يلقب ألا بلقب *i t-nṯr R^c*[2].

وتلى هذه المقدمة مجموعة من التعاليم بدأها بتوجيه الخطاب إلى ابنه، ويلاحظ أن الأسلوب الذي استخدمه عنخ شاشنقي يختلف عن أسلوب الحكم والنصائح المبكرة والتي كانت تتكون من مجموعة مترابطة من الجمل تتناول فكرة

---

(١) R.A. Rarker, op. cit., p. 134.

(٢) *i t-nṯr R^c* تترجم بأبو الإله، ويمثل حامل هذا اللقب مكانة وسطاً بين الكاهن المطهر *W^c b* من أسفل وبين خادم الإله *ḥm-nṯr* من أعلى.

انظر:

A.H. Gardiner, Ancient Egyptian onomastica, vol. I, Oxford, 1968, p. 48.

واحدة، فأورد عنخ شاشنقي تعاليمه على هيئة جمل نثرية مفردة مستقلة عن بعضها البعض، شغل كل منها سطراً أو صفاً واحداً في العمود، ولجأ أيضاً وفي بعض الأحيان إلى استخدام الأسلوب المعتمد على الأمثال، وربما تكرر جملتين متتاليتين نفس الفكرة، أو تناقض الجملة الثانية ما ورد في الجملة الأولى، وهو في هذا يشبه إلى حد ما ما ورد من حكم في بردية انسنجر.

ومن السمات العامة التي تميز هذه التعاليم أيضاً أنها غير منظمة أو على الأقل أنها لا تحوي ترتيباً معيناً في عرض الأفكار، فأحياناً نجد أنه يتناول فكرة معينة في عدد من الجمل لا تربطها صلة بما قبلها ثم يتركها ويتطرق إلى فكرة أخرى، ثم يعود مرة أخرى إلى الفكرة الأولى في موضع آخر. ويمكن تفسير ذلك بأن عنخ شاشنقي كان يمر بظروف نفسية قاسية نتيجة إحساسه بأن بقاءه في السجن سيدوم لفترة لا يعرف مداها، هذا بالإضافة إلى أنه كان يكتب من الذاكرة وعلى فترات متقطعة، فقد ورد في البردية أن ما كان يكتبه عنخ شاشنقي لابنه كان يؤخذ منه يومياً بواسطة الحارس لتتم قراءته أمام الفرعون وحاشيته[١].

وتتسم تعاليم عنخ شاشنقي لابنه بأنها تحمل الطابع

(١) M. Licheim, op. cit., p. 164.

العملي البعيد إلى حد ما عن الاتجاه الفلسفي، وبمعنى آخر فهي تغلب المصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية[1] مع الاحتفاظ بالحد الأدنى للقيم الأخلاقية المثلى وبقدر ضئيل تقليدي من التقوى وإظهار الحرص عليها بما يتفق مع التعاليم الأخلاقية المألوفة في مصر الفرعونية، وهي في ذلك تختلف عن التعاليم الواردة في «بردية انسنجر» رغم ما بينهما من جوانب مشتركة، وهي أيضاً لم تصل إلى المثل العليا التي ظهرت فيها التقوى واضحة مثلما كان الأمر في تعاليم أمنمؤبي، وتتشابه تعاليم عنخ شاشنقي في اتجاهها العملي مع تعاليم آني، ويمكن تفسير هذا الاتجاه بأن هذه التعاليم لم تكتب لرجل يتطلع إلى اعتلاء منصب مرموق في القصر الملكي وإنما وجهت ـ كما ظهر من دراستها ـ لإرشاد مزارع قروي يعيش في قرية أو مدينة صغيرة

---

(١) من الأمثلة الدالة على ذلك والتي تشير إلى إيثار النفع المتبادل، قول عنخ شاشنقي لابنه: «إعط العامل رغيفاً تأخذ رغيفين من كتفه».

S.R.K. Glanville, op. cit., col. 22, 19F.

ومنها كذلك: «أخدم أي شخص فربما تجد منه منفعة».

Ibid., col. 6, 5.

«لا تخادع ولا تغش، خوفاً من اكتشاف خداعك وغشك».

Ibid., col. 7, 8.

«لا تقرض مالاً لأحد بدون ضمان».

ibid., col. 16, 12.

في مصر، ومن هنا جاء الأساس الأخلاقي في التعاليم على مستوى أولى يتلاءم مع بيئة من توجه إليه وهي بيئة مزارع قروي، ومن هنا فإننا نلاحظ أن وصايا عنخ شاشنقي لابنه تؤكد على علاقته بأسرته وأصدقائه وجيرانه ومالك أرضه، وعلى كيفية إدارة شؤون تجارته البسيطة.

وتؤكد هذه التعاليم أن كاتبها كان رجلاً فهم حياة الريف وتآلف معها، ومن هنا جاءت صوره وأفكاره مقتبسة من حياة الريف بما لها من طبيعة خاصة مميزة، جعلتنا على صلة مباشرة بحياة فلاح عاش في مصر في أواخر التاريخ الفرعوني، وأعطت لنا بصورة غير مباشرة خلفية اجتماعية للحياة في تلك الفترة.

وعلى الرغم من ذلك فقد ورد في هذه التعاليم الكثير من القواعد الأخلاقية الأساسية التي حفلت بها التعاليم الأقدم منها والتي تعبر عن مكانة الرجل الحكيم، وتقدير الآلهة وقدسيتها، هذا بالإضافة إلى أن توجيهها إلى الابن كانت سمة مشتركة بينها وبين التعاليم القديمة.

وهناك من الباحثين من يرى أن هذه التعاليم يغلب عليها روح الدعابة إلى حد أنها أحياناً تحل محل الأساس الأخلاقي الرئيسي[١]، ومن هذه الدعابات قول عنخ شاشنقي لابنه «إذا

(١) M. Licheim, op. cit., p. 160.

وهبوك العيش جزاء الغباء، فاجعل التعليم إذن خصيمك»[1].

ويرى[2] Walcot أن هناك تشابهاً واضحاً بين تعاليم عنخ شاشنقي وبين ملحمة «الأعمال والأيام» للشاعر اليوناني هيسيودوس[3] ويعتمد في رأيه هذا على أن منطقة شرق البحر المتوسط والشرق الأدنى كانت تمثل وحدة ثقافية واحدة منذ العصر الميكني، ويرجح أن هيسيودوس قد تأثر في ما كتبه من أدب تعليمي بأدب الحكمة خارج اليونان، ولما كان من

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 19, 25.

(٢) P. Walcot, «Hesiod and the instructions of «Anchsheshonqy» in JNES, vol. xxi, 1962, p. 216.

(٣) هيسيودوس أحد شعراء الإغريق، اختلف مؤرخوا الأدب اختلافاً كبيراً في العصر الذي عاش فيه، وأقرب الآراء إلى المعقول وأكثرها اتفاقاً اعتماداً على لغة هيسيودوس وأساليبه، وما يستدل عليه من شواهد أخرى كثيرة أنه نشأ في عصر لاحق للعصر الذي نشأ فيه هوميروس أي أنه عاش في حوالى القرن الثامن ق.م. أو القرن السابع ق.م، وهو يمثل مرحلة انتقالية بين الشعر الملحمي والقصائد الذاتية أو ما سمي بالشعر الغنائي، ولذلك نجده يجمع بين خصائص الملحمة وظهور الروح الفردية، ويمثل هيسيودوس بالنسبة للشعر التعليمي ما يمثله هوميروس بالنسبة للشعر الملحمي أي المصدر والمنبع والعلامة المميزة. ومن أشهر أعماله «الأعمال والأيام» و «أنساب الآلهة»،

انظر: أحمد عثمان، الشعر الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً، الكويت، ١٩٨٤، ص ٧٨ ـ ٧٩.

المرجح أن تعاليم عنخ شاشنقي ترجع إلى القرن الخامس أو الرابع ق.م، فإن تعاليم عنخ شاشنقي هي التي تأثرت بما ورد في «الأعمال والأيام»[1] من حكم ونصائح وهو يرى أن هذا الرأي لا يمثل نظرية متطرفة وأن هناك الكثير من المؤرخين قد ناقشوا هذه النظرية، ويؤيد صحة رأيه، بأن تعاليم عنخ شاشنقي تتميز بسمات منفردة لم نجد مثيلاً لها من قبل في أدب الحكمة القديم في مصر، ولكنها تتشابه إلى حد كبير مع ما ورد في الأعمال والأيام وذلك من حيث إن كلاهما موجه إلى فلاح أو مزارع له مشاكل حياته ومشاكل أعماله، كما أن كل منهما وردت فيه العديد من الأمثال الحكيمة بالإضافة إلى أنهما اعتمدا على النصائح العملية التي يتدنى فيها الأساس الأخلاقي إلى جانب إظهار بعض القيم الأخلاقية العليا التقليدية، ومن

---

(١) تدور هذه القصيدة حول موضوع شخصي وقضية ذاتية، وقد ابتعد فيها هيسيودوس عن الموروث البطولي عند هوميروس وتصويره للحياة التي تتركز حول النبلاء والأمراء في قصور الملوك، فقد رأى الحياة من زاوية الفلاح الكادح الذي طحنته المشاكل والهموم، ولذا فهي تخاطب إلى جانب أخيه بيرسيس، فلاحي يوبوتيا وكانت فكرة العدالة هي بيت القصيد في هذه القصيدة، وورد فيها مجموعة من القيم الأخلاقية من العبارات الوعظية والأمثال الحكمية من الموروث الشعبي المألوف. انظر أحمد عثمان، المرجع السابق، ص ٨١ ـ ٨٨.

هذه النصائح التي وردت عند هيسيودوس ويتضح فيها الجانب العملي «أدع صديقك لمأدبة ولكن دع عدوك وحده، ولا سيما الذي يعيش بالقرب منك»[1]، «اعط للشخص الذي يعطيك ولا تعط لمن لا يعطيك»[2]، «ولو وقع عليك أذى بالقول أو بالفعل، فادفع ذلك الأذى مضاعفاً، ولا تنسى أن تفعل مثل ما حدث لك»[3].

ويرى كذلك Walcot تشابهاً بين تعاليم عنخ شاشنقي وملحمة «الأعمال والأيام» وذلك في الحث على ضرورة العمل في الأرض والبعد التام عن الإهمال، والاقتصاد والحذر وكذلك في النظرة إلى المرأة[4]، ومما ورد عند هيسيودوس في ذلك: «عليك ببذل الجهد، جزء للزراعة وجزء للحرث وجزء للحصاد»[5].

«لا تؤجل الأشياء حتى الغد وإلى ما بعد الغد والرجل الذي يهمل ويماطل ويؤجل، تجد مخزنه خاوياً، الجهد ينمي ويرعى العمل، الرجل الذي يؤجل عمله عادة يكون كمن ينتظر الكارثة»[6].

---

(١) Hesiod, The Homeric Hymns and Homerica, With an English Translation by H.G. Evelyn-White, London, 1964; p. 29.

(٢) Ibid., p. 29.

(٣) Ibid., p. 52.

(٤) P. Walcot, op. cit., p. 216.

(٥) Hesiod, op. cit., p. 31.

(٦) Ibid., p. 33.

«لا تضع كل بضائعك في مركب: دع الجزء الأكبر يبقى دعامة لك، والجزء الأصغر يذهب للخارج»[١].

«القليل إلى القليل بعملك يصبح كافياً ويصبح كثيراً»[٢].

«لا تسمح لنفسك أن تستسلم لرغبات المرأة، فإنها تسير خلف مخزن حبوبك»[٣].

وترى الباحثة أنه من الصعب أن نؤيد الأى الذي يتجه إلى القول بأن عنخ شاشنقي المصري قد قرأ قصيدة «الأعمال والأيام» لهيسيودوس اليوناني بعد كتابتها بما يقرب من ثلاثة قرون، وأنه تأثر بها واقتبس منها فقرات في تعاليمه لابنه، وخاصة أن الأدب التعليمي كان قديماً في مصر منذ عصر الدولة القديمة، وربما يمكن تفسير هذا التشابه بين ما جاء في تعاليم عنخ شاشنقي وبين ما ورد من تعاليم في ملحمة «الأعمال والأيام» بأن كل منهما كان موجهاً لنوعية معينة من الأفراد وهم الفلاحين أو المزارعين، ونظراً لأن طبيعة الحياة الزراعية وعلاقات أفرادها ومشاغلهم والسلوك المتبع بين أفرادها تكاد تكون متقاربة في كل البيئات في أي مكان، وعلى ذلك فإن وجود تماثل بين كل من تعاليم المصري واليوناني أمراً وارداً ومحتملاً.

---

(١) Ibid., p. 53.

(٢) Ibid., p. 29.

(٣) Ibid., p. 31.

وفيما يتعلق بزرادشت، فقد اختلف المؤرخون في مكان مولده كما اختلفوا في وقت ظهوره، فيذهب أقلية من المؤرخين أنه ولد في بلخ، بينما يذهب الأغلبية إلى أن مولده كان في غربي إيران في ولاية «آذربيجان» ويذكر المؤرخون الإسلاميون كابن الفقيه[1] والمسعودي[2] وأبي الفدا[3] أن زرادشت من آذربيجان، وأنه ولد في «أرمية»، وذكر الشهرستاني[4]. أن أبوه كان من آذربيجان، وأمه من الري. ومن هنا يتضح أن الروايات الزرادشتية والإسلامية وأقوال غالبية المستشرقين تتفق على أن موطن زرادشت كان في غرب إيران، ومن هناك هاجر شرقاً إلى بلخ حيث قام بنشر دعوته.

وقد اختلف الباحثون أيضاً في شخصية زرادشت، وانقسموا في صددها إلى ثلاث فرق، ذهب الفريق الأول إلى إنكار

---

(١) ابن الفقيه: (أبي بكر أحمد بن محمد) مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٣٠٢ هـ، ص ٣٨٥.

(٢) المسعودي: (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي): مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٢٩.

(٣) أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل): كتاب المختصر في أخبار البشر، الجزء الأول، بيروت، ١٩٥٦، ص ٥٩.

(٤) أبي الفتح محمد عبد الكريم، ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٤١.

وجوده وأنه مجرد شخصية أسطورية حيك حولها طائفة من العقائد والتقاليد والشرائع والعبادات التي كان عليها الإيرانيون، وفريق ثان يرى أنه شخصية حقيقية وأنه هو إبراهيم الخليل الذي ورد ذكره في التوراة والقرآن، وأن أسفار الأوستا (الأبستاق)[1] هي صحف إبراهيم (عليه السلام) التي تحدث عنها القرآن الكريم، أما الفريق الثالث والذي يعد الرأي الصحيح من وجهة نظر الغالبية العظمى من الباحثين فهو يقرر أن زرادشت شخصية حقيقية وأنه غير إبراهيم الخليل عليه السلام ويعتمدون في ذلك على أدلة تاريخية كثيرة يكاد يصل

---

(١) الأبستاق تعريب لكلمة «الأفستا» (ومعناها الأساس أو الأصل أو المتن أو السند) وهي عقيدة قدامى الفرس ومن بقي منهم على الزرادشتية إلى اليوم، وهم يعتقدون أنها منزلة من السماء تلقاها نبيهم زرادشت من أهورامزدا، وقد كتب الأبستاق في اثنى عشر ألف مجلد بالذهب وفيه وعد ووعيد وأمر ونهي وغير ذلك من الشرائع والعبادات، وظل الملوك يعملون بما ورد في هذا الكتاب حتى عهد الإسكندر الذي قام بحرق بعض هذا الكتاب، وتشير الروايات التي انحدرت إلينا من الكتب البهلوية أن أبستاق الهخامنشيين كان ألف فصل في واحد وعشرين كتاباً أو نسكاً، وعندما جمع أيام الساسانيين كان قد بقي منه ٣٤٨ فصلاً قسموها كذلك إلى واحد وعشرين كتاباً، انظر، أمين عبد المجيد بدوي، القصة في الأدب الفارسي، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٩ ـ ٣٢.

بعضها إلى درجة اليقين[1].

وفيما يتعلق بمولد زرادشت وحياته فيحيط بهما الكثير من القصص والأساطير، ومنها ما ترويه الأساطير الإيرانية من أن ثوراً قد ظهر قبل مولده وتكلم منبئاً بقرب ظهور منقذ للعالم من سيطرة قوى الشر، ومنها ما شاع اعتقاده عند قدامى الإيرانيين من أن الله قد نفخ في رحم أمه من روحه فتقمصت روح الله جسد زرادشت، ولما بلغ زرادشت العشرين من عمره أحس برغبة في الوقوف على حقيقة الكون وخالقه ومحتويات الطبيعة وما وراءها، فأثّر العزلة والتأمل العميق في ملكوت السموات والأرض وتطهرت نفسه من جميع عقائد الشرك، وأخذ يطوف بمختلف بلاد إيران لتزداد معرفته بالمجتمعات وشؤون حياتها، وقد استغرقت هذه المرحلة عشر سنين.

وتروي أسفار الديانة الزرادشتية نزول الوحي عليه من السماء، فأصبح نبياً مرسلاً، وأوحى الله إليه بتفاصيل دين كامل يبلغه للخلق، وبكتاب مقدس هو «الأبستاق»، ثم قضى بعد ذلك عشر سنين يطوف فيها إيران، ويبلغ رسالته دون أن يجد مستجيباً له، وعندم بلغ الثانية والأربعين أوحى الله إليه أن يذهب إلى كشتاسب أو يوشتاسف أو يستاسف كما يسميه

(١) علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص ١٤٧ ـ ١٥٠.

العرب، ملك إيران ليبلغه رسالة ربه، فتأثر الملك بما سمع منه وأنزله منزلاً كريماً، ثم مرت به محن كثيرة لتدبير بعض رجال الحاشية المؤمرات ضده، وأخيراً استطاع الانتصار على أعدائه وإقامة الحجة عليهم، فآمن به الملك والملكة وولي العهد وتبعهم رجال الجيش والحاشية والخاصة، ثم أخذ الناس بعد ذلك يدخلون في هذا الدين ولم تمضي بضع سنين حتى اعتنق الزرادشتية معظم أهل إيران[1].

ويتكون الكتاب المقدس لزرادشت وهو الأوستا «الأبستاق» والذي تم الاعتراف به رسمياً في عهد سابور الكبير (٣١٠ ـ ٣٧٩ م) واعتبر قانوناً للدولة[2] من خمسة أجزاء هي:

١ ـ يستا: وهو أهم الأجزاء، ومعناه العبادة والتسبيح والصلاة والعيد وهو يتكون من ٧٢ فصلاً.

٢ ـ ويسبرد (ومعناه) (عمل السراة) وهو ليس كتاباً مستقلاً بذاته، بل يمكن القول أنه من ملحقات أليستا.

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٥٠ ـ ١٥٤.

(٢) حسن بيرينيا: تاريخ إيران القديم، من البداية حتى نهاية العصر الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم، والسباعي محمد السباعي، مراجعة وتقديم يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٢٩ ـ ٣٠.

٣ ـ ونديداد: ومعناه «قانون ضد الشياطين» وهو يتكون من ٢٢ فصلاً، الفصل الأول منه في خلق الأرض والأقاليم.

٤ ـ يشتها: جمع كلمة «يشت» ومعناها العبادة والتسبيح فهي تسابيح للخالق وملائكته، وفيها العديد من الفقرات التي تشير إلى بعض الأحداث التاريخية التي صيغت في قالب أسطوري.

٥ ـ «خردة أوستا» أي «الأبستاق الصغير» أو مختصر الأبستاق وهو كتاب للصلاة والأدعية الخاصة بكل وقت من اليوم، والأيام المباركة من الشهر، والأعياد الدينية في العام وغيرها، وفصول هذا الكتاب وأدعيته مستخرجة من الأبستاق الكبير مع إدخال تعديل في أول وآخر كل منها يلائم الصلاة والدعاء في كل مناسبة[١].

ولقد كان زرادشت من الحكماء الكبار الذين ظهروا في الشرق القديم، وكان أيضاً مصلحاً اجتماعياً، فجمعت تعاليمه بين الشرائع والعبادات وبين النواحي الأخلاقية والسلوكية وكانت تعاليمه ذات الطابع الأخلاقي شديدة الامتزاج بالأوامر

---

(١) أمين عبد المجيد بدوي: المرجع السابق، ص ٣٣ ـ ٣٤، وكذلك:

E.G. Broune, A literary History of Persia, vol, I, Cambridge, 1964, pp. 99 - 102.

والتعليمات الدينية، بحيث من الصعب إن لم يكن من المستحيل الفصل بينهما ولم يتخذ زرادشت من الدين وسيلة إلى التصوف أو الانقطاع إلى العبادة وترك العمل، بل حاول أن يسلح أفراد مجتمعه بمجموعة من التعاليم الأخلاقية التي تساهم في بعث الشعب الإيراني ونهضته. ومن هنا يمكن القول بأن الديانة الزرادشتية ديانة أخلاقية، تقوم على مبادىء الأخلاق ذات الآثار البارزة في السيطرة على حياة الإنسان العملية، وقد عد زرادشت التربية والأخلاق توأماً للدين.

الفصل الثاني

مكانة الآلهة والتقوى

وردت العديد من الحكم عند الحكيم المصري عنخ شاشنقي التي تظهر مكانة الآلهة وقدرتها وواجب الإنسان تجاهها ومن هذه الحكم:

«إفعل ما يجب عليك تجاه الإله (أو) إعط ما عليك من دين تجاه الإله»[1].

وورد أيضاً **«الإله ينظر إلى ما في القلب»**[2].

وفي بيان أو إظهار قوة الآلهة وسيطرتها على البشر جاء على لسان عنخ شاشنقي:

«عندما يكون الإله رع غاضباً على الأرض، فإن حاكمها يهمل القانون».

و **«عندما يكون الإله رع غاضباً على الأرض، فإن القانون لا مكان له فيها».**

و **«عندما يكون الآله رع غاضباً على الأرض فلا مكان للقداسة على ظهرها».**

---

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 26, 14.

(٢) Ibid., col. 26, 11.

و «عندما يكون الإله رع غاضباً على الأرض فلا مكان للعدالة على أرضها».

و «عندما يكون الإله رع غاضباً على الأرض، فإنه يجعل كل ما له قيمة نادراً فيها».

و «عندما يكون الإله رع غاضباً على الأرض فإنه لن يسمح بثقة تحل بها».

و «عندما يكون رع غاضباً على الأرض فإنه يجعل عظيم الناس حقيرها وأقلهم أعظمهم».

و «عندما يكون رع غاضباً على الأرض فإنه يجعل الحمقى على رأس الحكماء».

و «عندما يكون رع غاضباً على الأرض فإنه يأمر حاكمها بأن يسيء معاملة شعبه»[1].

ومن الفقرات السابقة ندرك مكانة الإله رع وأن غضبه على البشر سوف يكون سبباً في حدوث الكثير من الأخطار على الأرض.

وورد أيضاً: «لا تقل (الآن) أنني أمتلك هذه الثروة، فإنني لن أخدم إلهاً ولا إنساناً»[2]. ومن هنا يظهر أن امتلاك

(١) Ibid., col. 5, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 9, 10, 11.

(٢) Ibid., col. 18, 16.

الفرد المثروة لا يغنيه عن خدمة الإله.

وورد أيضاً: «**وجه الثروة لخدمة الإله، فهو السبب في تكوينها**»[1]. ويظهر في هذا الحرص على توجيه الثروة أولاً لخدمة الإله فهو صاحب الفضل في تحقيقها، وورد أيضاً:

«**إذا تشاورت مع ثلاثة من الرجال الحكماء حول أمرٍ معينٍ فسوف يبلغ ذلك بيت الرب الأكبر يقيناً**»[2].

وفي هذا إشارة إلى أن الحكمة هي الطريق إلى مقر الإله.

وورد أيضاً «**لا تكل في استجداء الإله، فهو يملك الوقت لسماع الكاتب**»[3].

وفي هذا إشارة إلى ضرورة الإلحاح في طلب الرضا الإلهي فالإله لديه المقدرة على الاستجابة للجميع.

وجاء أيضاً: «**وقر إلهك فهو القادر على حمايتك**»[4]. و «**لا تقصر في خدمة الإله**»[5].

وجاء أيضاً: «**لا تقل عاصي الرب يعيش يومه، وتطلع**

---

(١) Ibid., col. 18, 17.

(٢) Ibid., col. 8, 6.

(٣) Ibid., col. 28, 10.

(٤) Ibid., col. 6, 1.

(٥) Ibid., col. 7, 14.

إلى الغد، وقل العقبى الطيبة في نهاية العمر»[١]، وفي هذا إشارة صريحة إلى «الثقة بالقصاص الإلهي».

وورد أيضاً: «ضع كل أمورك في يد الإله»[٢]. وفي ذلك إشارة إلى الاعتماد والتواكل على الآلهة، وجاء أيضاً: «قدم ذبيحة وقربان من الخمر للإله، واجعل الخشية منه عظيمة في قلبك»[٣].

و «الحظ الطيب ينقلب إلى دمار بواسطة الإله العظيم»[٤]. وجاء أيضاً: «لا تتعبد أمام الإله ثم تهمل ما يقوله»، أو بمعنى آخر «لا تلتمس الشفاعة في حضرة الإله ثم تهمل ما يقوله»[٥].

وورد أيضاً: «كل النجاح والتوفيق (الحظ الطيب) يأتي من يد الإله»[٦]. «كل يد ممدودة للإله تتلقى نصيب من حبه» أو بمعنى آخر «كل رجل يمد يده للإله سيصبح من المؤكد واحداً من أحبائه»[٧].

وجاء أيضاً: «لا تقم في... ملعونٍ من الإله خشية أن

---

(١) Ibid., col. 11, 21.
(٢) Ibid., col. 11, 23.
(٣) Ibid., col. 14, 10.
(٤) Ibid., col. 14, 17.
(٥) Ibid., col. 16, 14.
(٦) Ibid., col. 20, 6.
(٧) Ibid., col. 23, 14.

يتحول غضبه عليك»[١]. و «لا شيء يحدث إلا بأوامر الآلهة»[٢].
وجاء أيضاً:

«لو أن امرأة عاشت في سلام مع زوجها، فإن هذا من إرادة الإله»[٣].

وفيما يتعلق بمكانة الإله والتقوى عند زرادشت، فقد ورد في ترانيم زرادشت المعروفة باسم «الجاثات» جمع (جاثا) العديد من الفقرات التي تشير إلى هذا، فقد ورد في ترنيمه ياسنا رقم (٥١) فقرة (٢٢):

«أنا أعرف أن أفضل شيء هو عبادة أهورامزدا[٤]. الرب الحكيم، وهؤلاء الذين كانوا والكائنين بأسمائهم سأتعبد لهم، وأتقدم بالمديح لمن لهم الخلود والأسماء المقدسة»[٥].

ويعلق فيليب عطية على أن المقصود بعبارة «الذين كانوا والكائنيين» «إلى أن عبادة الشخص توجه إلى الرب

---

(١) Ibid., col. 27, 14.

(٢) Ibid., col. 22, 25.

(٣) Ibid., col. 25, 5.

(٤) هو الإله الأعظم عند الإيرانيين القدماء، ويعني اسمه «الإله الحكيم» وأهم صفاته العلم والحكمة، وهو المطلق في عالم الخير والحقيقة والنور.

(٥) F.M. Muller, The Sacred Books of the East, Translated by L.H. Mills, Vol. xxxi, Part III, Neόw Delhi, 1960, p. 187.

والأقانيم المتحدة معه»[1].

وورد أيضاً في ترنيمة ياسنا رقم (٥٠) الفقرة (١): **«ماذا تتوقع روحي من عون إنسان الذي أضع فيه ثقتي كحامي قطيعي الذي فيه أكون وإليه أتضرع ليس سوى الحق... فيك أيها الرب الحكيم والعقل العظيم»**.

وورد أيضاً في الفقرة الثامنة من نفس الترنيمة: **«بيدين مرفوعتين أقترب منك أيها الرب الحكيم أهورامزدا، بأشعار هي أناشيد الحماس، أنت كما الحق المقدس، أنت مع كل قوة العقل الخير»**.

وورد في نفس الترنيمة فقرة (٩) **«بهذه الترانيم سوف أقف أمامك أيها الرب الحكيم مادحاً إياك كحق بأعمال العقل الخير»**.

وفي الفقرة (١٠) جاء: **«كل ما سوف أفعل وكل ما فعلت قبل الآن والأشياء التي تبدو ثمينة للعين بواسطة العقل الخير النجوم والشمس والفجر الذي يجلب الضوء للأيام جميعها لأجل مدحك أيها الإله المانح الأعظم»**[2].

---

(١) فيليب عطية، ترانيم زرادشت، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٥٣.

(٢) F.M. Muller, op. cit., p. 174 - 175.

ويعلق «فيليب عطية على هذه الترنيمة بأن زرادشت يقف أمام إلهه «الرب الحكيم» كشاعر قبلي من شعراء العصور القديمة، في وضع المصلي بيدين مرفوعتين منشداً الأشعار»[١].

ومن خلال هذه الترنيمة بفقراتها العديدة، يتضح لنا أن زرادشت ينظر إلى الرب الحكيم على أنه الحق والعقل الخير، وهو القادر على تحقيق العون المادي للإنسان، ويتضح أيضاً أن الترانيم والأعمال الصالحة هما سبيلان لتمجيد الإله، وأن كل مظاهر الطبيعة تدين بالمديح من أجل الإله الذي خلقها.

ويظهر زرادشت مكانة الاتقياء عند الآلهة وكذلك قدر الخبثاء.

فقد ورد في ترنيمة ياسنا رقم (٣١) فقرة (٢٠).

«الذي يساند الرجل التقي، سيظهر له المجد المقبل، ويا أيها الأشرار لكم الظلام المخيم المقيم والطعام الرديء، وستقودكم ضمائركم التي تملي أعمالكم إلى هذا المصير»[٢].

وتظهر في هذه الترنيمة مكانة الإنسان التقي ومن يسير على نهجه وأيضاً مكافأته من امتلاكه للمجد، وعلى النقيض من

---

(١) فيليب عطية، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٢) F.M. Muller, op. cit., p. 39.

هذا يوصف المصير المظلم المقدر للشرير بحكم اختياره وأفعاله.

وورد أيضاً في ترنيمة ياسنا رقم ٤٩ فقرة (١٠، ١١).

وهذا ما ستحتفظ به في مقرك: **أيها الرب الحكيم: العقل الخير (في الحياة) وأرواح الأتقياء (في الموت) فهم يبجلونك ويوقرونك، لكن الخبثاء وأرواح الموتى الأشرار سوف تتقابل مع هؤلاء الرجال الأشرار الذين ساعدوا الحكام الأشرار، هؤلاء الذين يتكلمون بالسوء وأعمالهم سيئة وكذلك أفكارهم، فإن مقر الشر هو مصيرهم»**[١].

وتظهر هذه الفقرات السابقة مكافأة كلاً من الاتقياء والأشرار بعد الموت. ويعلق د. فيليب عطية بقوله أن هذا التمييز بين مصير الطرفين ربما يكون تمييزاً ظاهرياً فقط، فحتى لو كان «زرادشت» يتوقع مجيئاً مبكراً للفردوس على الأرض كتحقيق لمملكة الرب، فإن البشر رغم هذا يموتون كل يوم، كما أن هناك الذين ماتوا بالفعل وبالنسبة لهؤلاء فهناك مقر الرب الحكيم حيث تتجه أرواح المتقين بآيات التكريس والولاء في ارتباط مع العقل الخير، أو مقر الشر بالنسبة لأرواح الأشرار الذين سيتقابلون هناك بنظائرهم[٢].

---

(١) Ibid., col. 166 - 167.

(٢) فيليب عطية، المرجع السابق، ص ١٣٤.

وورد أيضاً في ترنيمة ياسنا رقم (٤٧) فقرة (٥):

«كروح مقدسة أيها الرب الحكيم أهورامزدا، قد وعدت التقي بالخير المطلق، أيمكن أن يشاركه الشرير نصيبه ضد إرادتك، هو الذي بأفعاله ينتمي إلى العقل الشرير»[١].

ويتضح من هذه الترنيمة أن الخير المطلق هو مكافأة الإنسان التقي وأن الشرير لا يشاركه في هذا الخير.

ويؤكد زرادشت في ترنيمة ياسنا رقم (٤٨) في المقطع الخامس والسادس مكانة التقوى والاتقياء ومكانة الآلهة بقوله:

«عسى أن يحكمنا الأتقياء لا الأشرار، أيتها التقوى حسب أعمال العقيدة الصالحة، أعدى أعظم الخير للإنسان.. إعادة الميلاد، إنها بواسطة العناية والرعاية تسمن الثيران[٢]**، تعطي لنا المأوى الطيب والقوة والدوام، هي تكريس العقل الخير، لأجلها جعل الرب الحكيم والحق النباتات تنمو عند ميلاد الوجود الأول»**[٣].

ومن خلال هذه الفقرات نجد أن زرادشت يرى أن إصلاح العالم يعتمد على التقوى ودورها الأساسي في الإصلاح،

---

(١) F.M. Muller, op. cit., p. 150.

(٢) Ibid., p. 155.

(٣) Ibid., p. 156.

فهي التي تضمن البعث الروحي للإنسان وهي التي تجعله يرعى ويسمن الثيران التي تتوقف عليها رفاهيته، كما ذكر الرب الحكيم، والحق كأساس لا يمكن أن يوجد بدونه النبات أو العشب الذي تعتمد عليه تربية الماشية وبالتالي لا يمكن أن يوجد بدونه الرخاء.

وورد أيضاً في ترنيمة ياسنا رقم (٣٠) في الفقرة (٣) توضيح لمكانة الطيب والشرير وجاء فيها:

«منذ البدء أعلن الروحان التوأم عن طبيعتهما، الطيب والشرير، بالفكر والكلمة والفعل، بينهما يختار الرجل الحكيم جيداً، ولا يفعل هكذا الأحمق، وفي النهاية سوف يكون الوجود الأسوأ للشرير بينما للتقي العقل الطيب»[١].

وورد أيضاً في ترنيمة ياسنا رقم (٤٨) فقرة (٧):

«دعوا روح الشر تخمد وأقضوا على الفساد أنتم يا من تصونون أنفسكم بواسطة الاستقامة جائزة العقل الخير»[٢].

ويعدد زرادشت صفات الإله التي تمنحه الجلد والعطاء السخي والقوة وينبوع السعادة، فجاء في الترنيمة (٣٣) في الفقرة (١٢).

---

(١) Ibid., p. 29 - 30.
(٢) Ibid., p. 156.

«أيها الرب ساعدني، كتقوى، امنحني الصبر، وكروح مقدسة امنحني العطاء السخي، كحق امنحني القوة على التصدي، كعقل خير أضمن لي ينبوع السعادة»[1].

وإظهاراً لمكانة الحق ورد في ترنيمة ياسنا رقم (٤٤) فقرة (١٨):

«هذا ما أسألك عنه، أيها الرب، أجبني بالصواب هل سأتلقى أجري بواسطة «الحق» عشرة أفراس مع حصان وجمل التي وعدتني بهم أيها الحكيم مع هبة الكمال والخلود»[2].

وإظهاراً لمكانة الاستقامة وعلاقتها بالرخاء جاء في ترنيمة ياسنا رقم (٥٠) فقرة (٢):

«كيف للمرء أن يحصل على قطيع يدر الرخاء، أيها الرب الحكيم، قطيع يرغب فيه مع مراعيه، هذا الذي يعيش باستقامة طبقاً للحق»[3].

ومن الترانيم الزرادشتية السابقة يتضح لنا أن أساس عقيدة زرادشت تعتمد على العمل الصالح والتقوى وتبجيل الرب الحكيم، ومصير من يتبع ذلك الخلود في العالم الآخر

---

(١) Ibid., p. 78.

(٢) Ibid., p. 120.

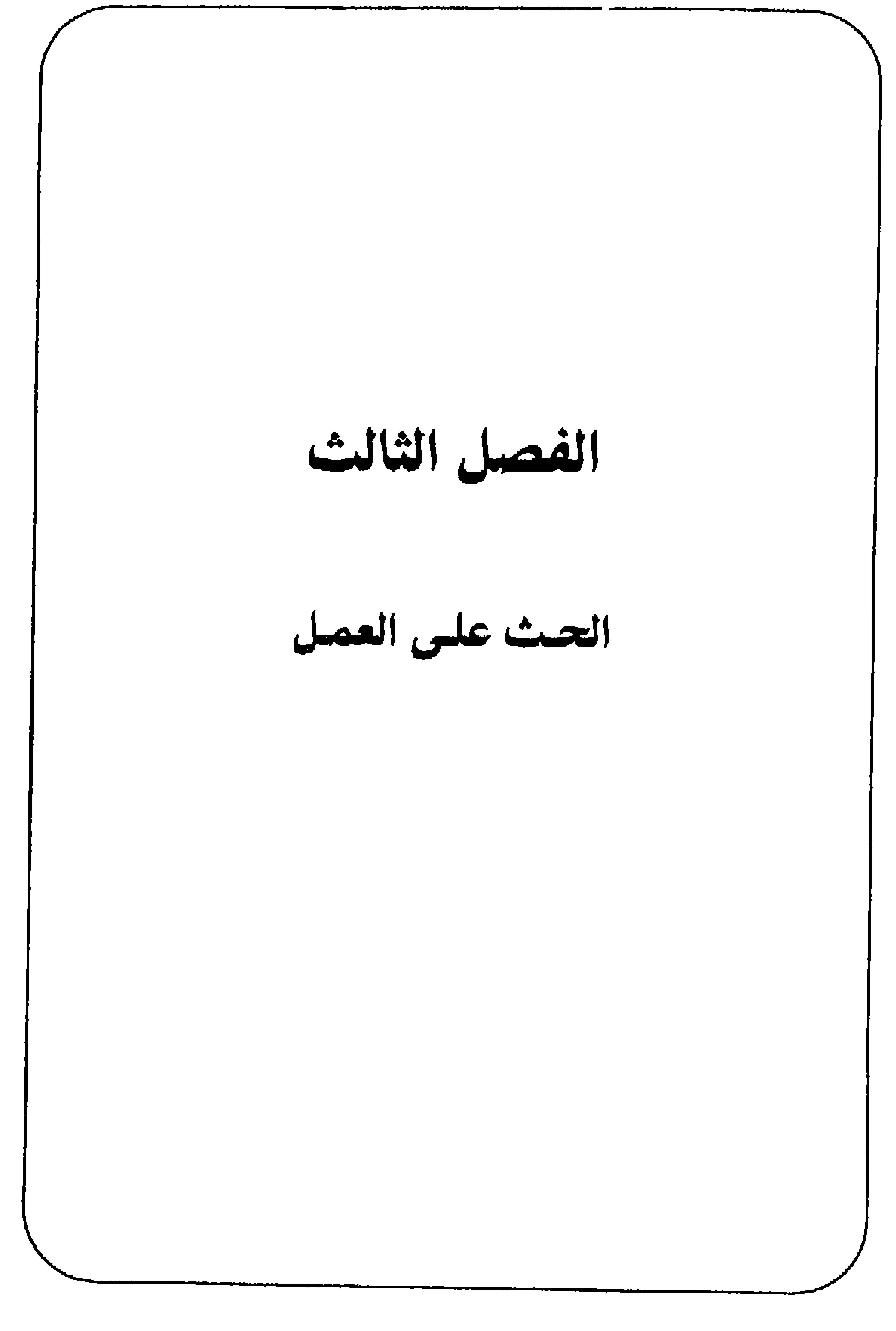
(٣) Ibid., p. 171.

والرخاء في الحياة الدنيوية، عكس من يرتكبون الآثام فإن مصيرهم سيىء في الدنيا والعالم الآخر.

ولما كانت التقوى من أعظم الفضائل عند زرادشت، ولذا فإن أول ما يجب على الإنسان عمله أن يعبد الله بالطهر والتضحية والصلاة، وإذا ما فعل ذلك كان في وسعه أن يلقى الموت من غير خوف[1].

---

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الجزء الثاني من المجلد الأول، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٤٣٢.



الفصل الثالث

الحث على العمل

من القيم الأخلاقية التي حث عليها كل من الحكيم المصري عنخ شاشنقي والحكيم الإيراني زرادشت «الحث على العمل».

وفي هذا المجال ورد عن الحكيم عنخ شاشنقي:

«إعمل على تعليم ولدك أن يكتب وأن يحرث وأن يصيد وأن يستخدم الشص على مدار العام، فإنه بذلك سوف يجني الفائدة بما يعمله»[1].

ويعلق أ.د. عبد العزيز صالح على هذه الحكمة بقوله بأن الحكيم عنخ شاشنقي قد أوجز فيها مطالب التربية العملية في مجتمعه وإن عملية التربية عادة عملية تنصرف في جوهرها إلى إعداد الناشىء إعداداً يساعده على أن يصبح فرداً قادراً صالحاً لنفسه وذويه، متجاوباً مع مجتمعه منتجاً فيه[2].

ويحث عنخ شاشنقي ابنه على عدم تأجيل عمل اليوم إلى الغد بقوله:

---

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 17, 23.

(٢) عبد العزيز صالح: التربية والتعليم في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٥.

«لا تقل هو الآن صيفاً، فهناك شتاء قادم، فمن لم يجمع حطباً في الصيف أعوذه الدفء في الشتاء»[1].

ويدعو عنخ شاشنقي ابنه إلى بذل الجهد في الحقل قائلاً: «نجاح الحقل يتوقف على العمل»[2].

ويقول أيضاً: «لا تقل أرضي أفلحت، فتتوقف عن تفقدها».

وينصحه أيضاً بقوله:

«إذا حرثت الحقل ولكن لم تجد مقابلاً لذلك، أحرث مرة أخرى، فإنه جيد أن تحرثه، والرجل الذي يهمل غالباً، فإن أحواله ستفنى (تهلك) نتيجة لذلك»[3].

ويلح على ابنه ناصحاً:

«لو أنك عملت فالأرض لن تبخل عليك»[4].

وورد أيضاً في نصائح عنخ شاشنقي لابنه العديد من النصائح التي تحثه على العمل فهو السبيل إلى تكوين الممتلكات للفرد، فقال:

---

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 9, 17.

(٢) Ibid., col., 8, 19.

(٣) Ibid., col., 9, 9, 11, 14.

(٤) Ibid., col. 18, 4.

«لا تعتمد على ممتلكات شخص آخر قائلاً: إنني سوف أعيش عليها، وإنما حقق لنفسك قبلها»[١].

وجاء أيضاً: «الثروة تستلزم عمل من صاحبها»[٢].

وفي ذلك إشارة إلى أن الحفاظ على الثروة يكون بالعمل المستمر، وفي ذلك يقول أيضاً: «إن ثروة قليلة مع الإحترام تساوي نهر النيل في زمن الفيضان».

وتشير هذه النصيحة أن المال في حد ذاته ليس أداة السعادة وأن الثروة يجب أن تكون ثمرة العمل الذي يكسب الشخص احتراماً.

ويدعو عنخ شاشنقي ابنه إلى العمل كوسيلة لتقوية بدنه بقوله:

«عندما تعمل فإن الأرض سوف تحسن جسدك»[٣].

ونصحه أيضاً بقوله:

«لا تدلل جسدك، خشية أن يصبح ضعيفاً وخاملاً»[٤].

و «لا تدلل نفسك عندما تكون شاباً، خشية أن تصبح

---

(١) Ibid., col. 6, 10.

(٢) Ibid., col. 9, 22.

(٣) Ibid., col. 8, 15.

(٤) Ibid., col. 6, 18.

ضعيفاً عندما تصير شيخاً»[1] .

وفي ذلك إشارة إلى أن العمل ومشقته يكسبان الجسم قوة، وحثه على العمل بقوله:

«إعمل جيداً بجسدك في أيام رفاهيتك (شبابك) فليس هناك شخص لن يموت»[2] .

ويتنقل بعد ذلك عنخ شاشنقي في نصائحه لابنه موضحاً أثر العمل في النفس فقال:

«العمل يسعد صاحبه» (أي من يقوم به)[3]. و «مزيداً من البهجة في الوجه لذلك الذي قضى يومه في الحقل، أكثر من هذا الذي قضاه في المدينة»[4]، وفي هذا إشارة إلى الإحساس بالسعادة نتيجة العمل.

وقال عنخ شاشنقي أيضاً: «فشل كريم خير من نصف نجاح»[5]، وتعني هذه النصيحة أنه إذا بذل المرء قصارى جهده ولم يوفق، فإن هذا خير له من أن يحقق بعض النجاح بدون عمل.

---

(١) Ibid., col. 6, 19.
(٢) Ibid., col. 8, 7-8.
(٣) Ibid., col. 26, 10.
(٤) Ibid., col. 9, 15.
(٥) Ibid., col. 18, 5.

وفيما يتعلق بالحكيم زرادشت فقد كان العمل الصالح ركيزة أساسية في القيم الزرادشتية وكان الهدف منه خلق مجتمع زراعي خير، ولذا نجد أن تعاليم زرادشت تضفي على كفاح الإنسان من أجل عمارة الأرض وإقامة الحياة وترقيتها مسحة من القدسية، فكل عمل يقوم به الإنسان لا يفيده في حياته الدنيا فقط، بل هو يوجب كذلك رضا الخالق وإثابته إياه في الآخرة، وعلى ذلك فتربية الحيوانات ورعايتها وإصلاح الأراضي وزراعتها تعد عبادة دينية وعملاً روحانياً، كما أن إبادة الحشرات الضارة والحيوانات المؤذية تعد عبادة دينية وعملاً روحانياً، وحياة اللامبالاة والبطالة التي ينتج عنها الفقر تُعد من الآثام التي يحاسب عليها الدين ويستنكرها[1].

وقد ظهرت هذه الأفكار في مواضع متفرقة من تعاليم زرادشت، ومنها ما ورد في الفصل الثالث في كتاب «الونديداد» في خطاب وجهه أهورامزدا لزرادشت قائلاً:

«يا زرادشت المجيد، من يزرع على هذه الأرض بساعديه الأيمن والأيسر، تقول له الأرض: أنت يا من عملت على وجهي عملاً سأظل به في المستقبل مثمرة وسأبقى واهبة النعمة،

(١) يحيى الخشاب، تراث فارس، القاهرة، ١٩٥٩، ص ١٣٧.

خذ مني ثواباً وخذ منها معاشك، ومن لا يزرع على الأرض، تقول له هذه الأرض: أنت يا من لم تزرع على وجهي شيئاً ولم تعمل شيئاً، عليك أن تقف في المستقبل خلف الآخرين وتستنجد بهم، ولا يصيبك من فوائد الذين هم في رغد العيش وفي راحة وفرح إلا الفتات وفضلات الأطعمة»(١).

وورد أيضاً في ترنيمة ياسنا رقم (٣٣) فقرة (٣).

«هذا الذي ينتمي إلى الأسرة أو القرية أو القبيلة أيها الرب ويصنع نعمة لرجل الصلاح أو يكد في رعاية القطيع سيصير في مرعى «الحق» و «العقل الخير»(٢).

وتشير هذه الترنيمة إلى أن العمل الطيب الخير الذي يقدمه الإنسان إلى الآخرين والعناية بتربية الثيران التي هي مصدر الرزق يستحق من يقوم بهما أن يكون من أهل الحق وأن يكون أهلاً للخير.

وكان دعاء زرادشت وأتباعه هو:

«نعمل كي نكون من زمرة الأشخاص الذين يساهمون في سبيل رقي وكمال هذا العالم»(٣).

---

(١) F.M. Muller, The Sacred Books of the East, Translated by J. Darmesteter, Vol, iv. Part I, New Delhi, 1969, p. 29.

(٢) F.M. Muller, op. cit., vol, xxxi, Part. III, 73.

(٣) نوري إسماعيل، الديانة الزرداشتية مذديسنا، دمشق، ١٩٦٧، ص٨١.

وهذا الدعاء يضع العمل في المقام الأول في حياة الإنسان، فقد أدرك زرادشت أن خير وسيلة للتغلب على القوى الشريرة هي الجهاد في سبيل الحياة والسعي في طلب الرزق والتغلب على شظف العيش، وعلى ما في الحياة في بلادهم من شدائد ومشقات، وذلك لأن استغلال أرضهم لم يكن هيناً، ولم تكن حياتهم في بلادهم حياة سعيدة وهنيئه، بل كانت حياتهم جهاد ضد الشقاء والبؤس لذلك كان من بين مبادئهم الدينية إعلان حرب شعواء لا هوادة فيها على قوى الشر والظلام، لتتغلب عليها قوى الخير والنور، وهذا هو أحد الأسس التي قامت عليها الديانة الزرادشتية.

وورد أيضاً في فضل من يعمل ويزرع:

«يا خالق العالم المادي: أيها القدوس: من هو الشخص الرابع الذي يوهب سعادة للأرض: أجاب أهورامزدا يا زرادشت أسبتيمان: أنه ذلك الشخص الذي يزرع الغلة والخضروات والفواكه الكثيرة الشخص الذي يروي الأرض اليابسة».

و «إن من يبذر الحب يبذر القدسية، أنه يجعل قاموس مزدا يخضر ويزدهر. إن عملاً مثل هذا يساوي مائة عمل من أعمال محبة الله الخالق، ويساوي ألفاً من أعمال الابتكار والإبداع، وعشرة آلاف من أعمال التضحية».

و «حينما ينمو الشعير، تنزعج الشياطين، وحينما يخرج الحب تتألم الشياطين، وحينما يحصد القمح، تفر الشياطين، لأن البيت الذي يدخله القمح تخرج منه الشياطين مذمومة مدحورة»[(١)] .

ومن الفقرات السابقة نجد أن أهورامزدا، يجعل زراعة الأرض والإخلاص في العناية بها تهذيب للنفس جدير أن يجنبها الرذيلة، كما أن فلاحة الأرض وحسن استغلالها يقرب العبد من ربه. ويتضح كذلك أن زرادشت كان يعد الجد في العمل رمزاً ظاهرياً لأداء المرء واجبه نحو ربه، وأنه كان يعلق أكبر أهمية على الزراعة ويجعلها أفضل شعار لتقريب العبد من الخالق الأكبر، والإقرار بفضله، فهي بذلك مظهر أساسي من مظاهر العبادة.

ولعل زرادشت كان في حثه على حياة الاستقرار واستغلال موارد الأرض واستخراج كنوزها كان متأثراً بما كان عليه الإيرانيون في عصره، فقد كانوا حديثي عهد بحياة الاستقرار التي أخذوا يألفونها بعد أن هجروا حياة البدو والتنقل في السهول والأودية وكان كثير منهم لا يزالون يسكنون البادية ويربون الماشية فأراد زرادشت أن يحبب إليهم الحياة الجديدة، ويشجعهم على الاستقرار وبذل الجهد في سبيل استغلال الأرض، والانتفاع بخيراتها[(٢)] .

---

(١) F.M. Muller, op. cit., p. 29-30.

(٢) حامد عبد القادر، زرادشت الحكيم، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٩٠.

الفصل الرابع

حســن المعاملة

شغلت الدعوة إلى حسن معاملة الآخرين حيزاً كبيراً من تعاليم الحكيم المصري عنخ شاشنقي وكذلك الحكيم الإيراني زرادشت وذلك لما لها من أثر كبير في حياة الإنسان لأنها تؤدي إلى البعد عن الرزائل وتقرب أفراد المجتمع بعضهم من بعض.

وقد حفلت تعاليم عنخ شاشنقي بالحكم والنصائح الموجهة إلى ابنه والتي تدعو إلى حسن معاملة الناس وبيان أثر ذلك في حياته، فحثه على حسن التعامل مع الآخرين بالكلمة الطيبة، فقال له:

«عندما تعطي شيئاً تملكه إلى أي شخص، فاجعله مصحوباً بالكلمة الطيبة، عندئذٍ يصبح هبتين وليس هبة واحدة»[1].

وحث الحكيم المصري ابنه على المعاملة الطيبة خاصة مع من هم في حاجة إليها فقال:

«ليس هناك عمل طيب، اللهم إلا ذلك العمل الطيب الذي تقدمه لمن يحتاج إليه، واجعل إحسانك يصل إلى من يحتاج إليه»[2].

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 19, 21.

(٢) Ibid., col. 15, 19 and col. 12, 17.

ويدعو عنخ شاشنقي ابنه إلى عدم إيذاء أحد عند تعامله مع الآخرين، وورد في ذلك العديد من النصائح، ومنها:

«لا تهن رجلاً نبيلاً، ولا تتبع الإهانة بالضرب، فعندما يبدأ الضرب يحدث القتل»(١).

و «لا تتعرض بالأذى لأحد، حتى لا يتسبب آخر في إيذائك»(٢).

و «لا تثأر من أحد، ولا تسمح لأحد أن يثأر منك»(٣).

و «لا تتشاجر مع أحد على أمر أنت مخطىء فيه»(٤).

«لا تتحدث باندفاع، وتهور فيصيبك الأذى»(٥).

و «ربما تخطىء في أسلوب طعامك في منزل رجل عظيم ولكن يجب ألا يزل لسانك»(٦).

و «لا تقل دع هذا الذي في محنة يتلمس ترياقه بنفسه، ولن أصف له علاجاً، ولا تكثر السعي فيه من أجل نفسك حتى لا تصبح مكروهاً، ولا تدع مجهداً يتطلع إلى أقصى الأرض»(٧).

---

(١) Ibid., col. 22, 21, 22, 23.
(٢) Ibid., col. 12, 6.
(٣) Ibid., col. 12, 16.
(٤) Ibid., col. 19, 10.
(٥) Ibid., col. 7, 23.
(٦) Ibid., col. 16, 7.
(٧) Ibid., col. 17, 7-9.

والفقرة الأخيرة دعوة لمساندة المحتاج وإعانته إذا ما كان قادراً على ذلك، ويوجه عنخ شاشنقي انتباه ابنه إلى ضرورة تقديم المساعدة للآخرين دون انتظار ردها، فقال له:

«لا تقل لقد أديت معروفاً لهذا الشخص ولم يشكرني عليه»[١].

ويعلق أ.د. عبد العزيز صالح على هذه النصيحة بقوله: «إنه ليس من عمل طيب يعد جميلاً لإنسان لا يجد سبيلاً إلى رده»[٢]. وفي نفس المعنى جاء أيضاً: «إذا فعلت معروفاً لخمسمائة إنسان وأقر به واحد فحسبك أن جانباً منه لم يضع، وأفعل الخير والقه في وسط النهر، فعندما يكتشف سوف يسدد كدين لك»[٣].

و «لو أنك نجحت مع رجل وتيسر حالكما معاً، فلا تهجره إذ إما تبدلت أحواله إلى الأسوأ، وساعده في أن تكون له مقبرة، فربما يأتي بعده من يساعدك»[٤].

وقال أيضاً: «ينبغي أن تسعى إلى معرفة جارك، حتى

---

(١) Ibid., col. 15, 23.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٨٦.

(٣) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 14,9. col. 19, 10.

(٤) Ibid., col. 17, 18, 19, 20.

تعطيه جانباً مما تملك»[١].

وينصح عنخ شاشنقي ابنه بعدم التسرع في الحكم على الآخرين بقوله: **«لا تكره إنساناً لمجرد رؤيته ما دمت لا تعرف حقيقة خلقه»**[٢].

ووجه الحكيم المصري ابنه إلى الحكمة العملية في حسن معاملة الغير فقال له:

«لا تعامل إنساناً بما تكره فتشجع غيرك على معاملته بالمثل، ولا تخفي نفسك عن شخص غريب قادم من الخارج، فإذا لم يكن لديك شيئاً تقدمه له، فربما يكون هناك شيء ما يقدمه لك»[٣].

ويحض عنخ شاشنقي ابنه على ضرورة الالتزام بالأمانة في معاملة الناس، فيقول له:

«لو طردت من منزل سيدك، فلا بد أن تكون أميناً عليه»[٤]. والأمانة هنا في المقام الأول تعني عدم إفشاء أسراره وتعريضه للخطر.

ويحبب الحكيم المصري ابنه في الآثار التي يجنيها الفرد

---

(١) Ibid., col. 6-11.

(٢) Ibid., col. 6, 20.

(٣) Ibid., col. 15, 23, and col. 16, 9, 20.

(٤) Ibid., col. 10, 8.

من جراء معاملة الناس معاملة حسنة، فقال له:

«هذا الذي يتعاون مع أهل بلده سوف يبتهج قلبه، وأخدم إخوانك تتولد لك سمعة طيبة، وعظم الرجل الكبير في قلبك، فتكون معظماً في قلوب كل الرجال»[١].

ويحذر عنخ شاشنقي ابنه من عاقبة سوء معاملة الآخرين فيقول له: «إذا أصبحت شريراً فلن يساعدك أحد، وإذا كنت شرهاً ستصبح مزجوراً، وإذا كنت بخيلاً فستصبح مكروهاً»[٢].

وقال له أيضاً: ليس هناك شخص يرتكب ذنباً أو إثماً ويمضي ويفلح، ولا تسيء معاملة أحداً عندما يتيسر لك خشية أن يصبح طريقك سيئاً، ولا تكن شخصاً عدوانياً مع الآخرين خشية أن تصبح ملعوناً، والرجل الذي يسب أهل مدينته يصبح مكروهاً للأبد»[٣].

وورد أيضاً في نفس المجال: «الرجل الوضيع هو ذلك الرجل كثير الغضب فيصبح مثيراً للاشمئزاز، والرجل العظيم هو ذلك الرجل قليل الغضب فيكتسب مديحاً أكثر من الناس»[٤].

(١) Ibid., col. 18, 10, col. 6, 2, col. 20, 18.

(٢) Ibid., col. 15. 19, col. 21, 15.

(٣) Ibid., col. 21, 12, col. 6, 11, col. 11, 5, col 27, 13.

(٤) Ibid., col. 7, 19, 20.

وفيما يتعلق بالحكيم الإيراني زرادشت وما ورد في تعاليمه من إشارات إلى حسن معاملة الناس وما لذلك من أثر في اكتساب الإنسان مكانة طيبة بين الآخرين، فقد ورد في الأبستاق: «أن الطبيعة الخيرة هي تلك التي تملي على صاحبها أن لا يصنع بغيره أمراً لا يريده لنفسه، وأن يسعى دائماً إلى جعل العدو صديقاً، وجعل الشرير صالحاً، وجعل الجاهل عالماً»[١].

وورد أيضاً في الونديداد: «ينبغي على المرء أن يتحلى بصفات «سبنتا أرميني» والتي تعني التقوى والعطف والتواضع والمحبة في التعامل مع الآخرين من أجل سعادة ورقي العالم، وأن يعمل المرء في سبيل بناء مجتمع عادل لكافة الناس دون تمييز أو تفاوت، ويعني كل ذلك الرحمة «وهو خشترا»».

وورد أيضاً في الونديداد: «كن حميماً مع الإله والأصدقاء، وابتعد عن كل شخص يتصرف معك بغضب وحقد، ولا تكن صديقاً جديداً للعدو القديم، لأن العدو القديم مثل الثعبان الأسود، لا ينسى الحقد حتى بعد مائة عام، وكن للإنسان الحر، الخبير بالأعمال، الذكي والخير، صديقاً، واسأله عن الأمور، وكن صديقاً جديداً للصديق القديم، لأن الصديق القديم مثل الخمر المعتق، كلما عتقت كانت أفضل

---

(١) M.M. Dawson, Ethical Relegion of Zoroaster, p. 131.

وأحسن ولا تسخر من الإنسان العاجز، ولا تطلب شيئاً من الذي لا يخجل، ولا تجلس في الاجتماعات إلى جانب الإنسان السيىء حتى لا تُعرف كرجل سيىء، والقوي هو الشخص الذي يبعد عن نفسه الغضب والشهوات والحرص وعدم الرضى في تعامله مع الآخرين»(١).

ويشدد زرادشت على عقوبة الإنسان الذي يتعرض بالأذى للآخرين، فقد ورد في الونديداد ما يلي:

«لو أن رجلاً هم بإلحاق أذى برجل، أو باغت رجلاً بأذى أو تعرض له فعلياً بأذى مستخدماً سلاحاً من أي نوع وهو يحمل له كرهاً بغيضاً في قلبه، فإن عقابه كما قرر الإله أهورامزدا خمس جلدات في الحالة الأولى، وعشر جلدات في الحالة الثانية وخمس عشرة جلدة في الحالة الثالثة»(٢).

وأضاف أهورامزدا بأن من يكرر هذه الأفعال التي تؤذي الآخرين يتعرض لعقوبتين واحدة في الحياة الدنيا، وتتراوح بين خمس جلدات كحد أدنى وتصل إلى مائتين جلدة ويتم الضرب بالسوط، والعقوبة الأخرى توقع عليه في العالم الآخر(٣).

---

(١) نوري إسماعيل: المرجع السابق، ص ٨١، ٨٣، ٨٤.

(٢) F.M. Muller, op. cit., Vol., IV, part I, p. 39.

(٣) Ibid., p. 40.

ويشير الحكيم الإيراني إلى مكانة الإنسان الذي يكتسب الصيت الطيب بين الناس من جراء حسن معاملته مع الآخرين، وذلك في ترنيمة ياسنا رقم (٣٠) فقرة (١٠).

«وعندما يتوقف الشر عن الإزدهار فإن هؤلاء الذين اكتسبوا الصيت الطيب من معاملتهم للآخرين، سيجنون المكافأة الموعودة في المستقر المبارك للعقل الخير والرب الحكيم والحق»[١].

وتشير الترنيمة السابقة إلى هؤلاء الذين ينالون الصيت الطيب من جراء حسن معاملتهم مع الناس والالتزام بالتقوى في كل أعمالهم، فهم بذلك يهزمون الشر، وبعملهم الطيب سوف يسعدون في مقر الثالوث (العقل الخير والرب الحكيم والحق).

---

(١) Ibid., vol. xxxi, part, III. p. 34.

الفصل الخامس

معاملة الزوجة

توجد العديد من الحكم والنصائح المتصلة بالقيم الأخلاقية والسلوكية عند كل من عنخ شاشنقي وزرادشت التي تخص الزوجة وتوضح دورها وأهميتها وكيفية معاملتها وكذلك الحذر من بعض أنواع النسوة والتحذير من الوقوع في الخطأ مع بعض النسوة، ويتضح منها طبيعة القيم الفكرية والأخلاقية والسلوكية في كل من مصر وإيران خلال هذه المرحلة.

ومن هذه الحكم والنصائح التي تدعو إلى الزواج المبكر وتحث عليه وتوضح مزاياه عند عنخ شاشنقي.

«اتخذ لنفسك زوجة عندما تصبح في العشرين من عمرك، حتى يكون لك ابناً وأنت ما زلت شاباً»[١].

ويتضح من ذلك دعوة الحكيم المصري للشباب بالزواج في بداية سن الرجولة والشباب، وذلك حتى يستطيعوا تربية أبنائهم وهم ما زالوا قادرين على تحمل عبء تربيتهم وتنشئتهم وحتى يشبوا وهم ما زالوا شباباً، وفي سبيل ذلك، فلقد أباح الحكيم المصري للشاب أن يقترض من أجل الزواج رغم بُغض

---

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 11, 7.

المصري القديم لمبدأ الاقتراض بشكل عام، وفي ذلك يقول:

«اقترض مالاً عند الضرورة لتتخذ لنفسك زوجة»[1].

وفي المقابل فإننا نجد في تعاليم زرادشت ما يشير إلى أهمية الزواج وإنجاب الأطفال، بل وتجعل هذه التعاليم من الزواج وإنجاب الأطفال واجباً دينياً، حيث يؤدي الزواج وكثرة إنجاب الأطفال إلى الإكثار من المؤمنين الذين يقاومون الشر ويثبتون الخير وينشرونه في الأرض، ومما جاء في ذلك:

عندما سأل زرادشت أهورامزدا: «أي إلهي خالق العالم، إلهي المقدس، ما هو المكان الثاني الذي تشعر فيه الأرض بأنها أسعد ما تكون؟» ويجيبه أهورامزدا قائلاً: «إنه المكان الذي يشيد فيه أحد المؤمنين بيتاً يوجد في داخله كاهن، وفيه ماشية، وزوجة، وأطفال، وأنعام طيبة، والذي تزداد فيه أعداد الماشية، وتكثر فيه الزوجة من ولادة الأبناء، وينمو فيه الأطفال وتشتعل فيه النار، وتزداد فيه جميع نعم الحياة»[2].

ويتضح من ذلك أن المكان السعيد الطيب هو الذي يسود فيه التقوى والتدين ويوجد فيه زوجة ولود وماشية كثيرة الإنتاج، فلقد ربط المكان الطيب بوجود الأرض وكثرة الأطفال.

---

(١) Ibid., col. 16, 10.

(٢) F.M. Muller, The Sacred Books of the East, Part I, Vol. IV, Vend, III, 1, p. 23.

وفي موضع آخر يذكر زرادشت:

«أن الرجل الذي له زوجة أفضل كثيراً من ذلك الذي لا زوجة له، والرجل الذي يعول أسرة أفضل كثيراً من ذلك الذي لا توجد له أسرة، والرجل الذي له أبناء أفضل كثيراً من ذلك الذي لا أبناء له، والرجل ذو الثراء أفضل كثيراً ممن لا ثروة له»[١].

وفي هذا إشارة شديدة الوضوح إلى تفضيل المجتمع الإيراني للشخص المتزوج والذي له أبناء ويتمتع بثروة. ومن ناحية أخرى، فإن هذه التعاليم لها غاية أخرى وهي ذم حياة اللامبالاة والتحرر من المسؤوليات والبطالة وعدم العمل التي تؤدي إلى الفقر[٢].

ومما يشير إلى شدة اهتمام المجتمع الإيراني بالإنجاب، اعتقادهم بأنه لن يدخل الجنة من ليس له طفل، وأن أول سؤال تسأله الملائكة للمرء عما إذا كان قد ترك في هذا العالم خليفة له، فإذا كانت إجابته بالنفي فإنهم يضعونه عند حافة الطريق المؤدي للجنة مملوءاً بالحزن والأسى[٣].

---

(١) Ibid., vol. IV, II, p. 46.

(٢) يحيى الخشاب: المرجع السابق، ص ١٣٨.

(٣) F.M. Muller, op. cit., p. 46, No. 1.

ويذكر هيرودوت أن الذين كانوا ينجبون عدداً كبيراً من الأبناء في إيران كانوا يمنحون الهدايا والعطايا من الملك(١). مما يوضح أهمية إنجاب الأطفال في هذا المجتمع، وإعطاء مزايا عينية للتشجيع على كثرة الإنجاب.

ونظراً لأهمية الزواج وضرورته لإنجاب الأطفال، والدور المهم والفعال للأم في تربية الأبناء وتنشئتهم فلقد دعى **الحكيم عنخ شاشنقي** إلى ضرورة حسن **اختيار الزوجة**، ووردت في تعاليمه العديد من الحكم والنصائح التي تشير إلى ذلك، ومنها:

«إن نعمة الممتلكات زوجة حكيمة»(٢).

وجاء أيضاً في مكان آخر:

«الرجل الذي لا أملاك له، زوجته هي رفيقته»(٣).

ويتضح من ذلك أن الحكيم المصري قد جعل الزوجة الحكيمة هي أفضل ما يحصل عليه المرء، كما أن الزوجة الصالحة هي التي تكون مع زوجها في السراء والضراء ولا

---

(١) Herodotus, The Persian Wars, Translated by George Rawlinson with an introduction by Francis R.B. Godolphin, N.Y. 1942, I, 136.

(٢) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 8, 22.

(٣) Ibid., col. 18, 14.

تتخلى عنه حينما يفقد ممتلكاته.

كما أشار في مكان آخر إلى أن الزوجة الطيبة يكون وجودها مطلوباً وحيوياً لبعث الحياة في الأسرة فهي مثل الطعام الشهي الذي يحصل عليه الإنسان عندما يغلبه الجوع وتصبح حاجته للطعام شديدة، وجاء في ذلك: «**المرأة الطيبة التي تتمتع بشخصية نبيلة مثل الطعام الذي يحصل عليه المرء عند الجوع**»[(١)].

ولم تقتصر تعاليم عنخ شاشنقي على حسن اختيار الزوجة فقط بل تعدتها أيضاً إلى حسن اختيار زوج الابنة، وفي ذلك يقول:

«**تخير زوجاً فطناً (رزيناً) لابنتك، ولا تختر لها زوجاً غنياً**»[(٢)].

ويتضح من ذلك أن الحكيم المصري قد وضع الفطنة والرزانة أساساً لاختيار زوج الابنة وجعلها مقدمة على الثروة.

وحذر الحكيم المصري عنخ شاشنقي من الزواج ببعض أنواع النسوة، ومنها، المرأة سيئة الطبع، وفي ذلك يقول:

«**إحذر أن تتخير لنفسك امرأة سيئة الطبع، حتى لا تورث**

(١) Ibid., col. 10, 21.

(٢) Ibid., col. 10, 15.

أبناءك تربية فاسقة»[١].

ويشير ذلك إلى مدى اقتناع الحكيم المصري بما للزوجة الأم من أثر في طابع الأسرة وحياة الطفل، وأثرها في تربية أولادها[٢]. ويؤكد ذلك أيضاً نصيحة أخرى وردت في هذه التعاليم وجاء فيها:

«إن الأم تلد، ولكن الشبيه ينتج الشبيه»[٣].

والدلالة في هذه النصيحة شديدة الوضوح، وهي أن الأبناء يرثون الصفات والطباع التي للأم مثلما يرثون الصفات الخاصة بالأب.

كما حذر من الزواج بامرأة من مدينة أخرى وفي ذلك يقول:

«لا تجعل ابنك يتزوج من امرأة من مدينة أخرى، حتى لا يؤخذ منك»[٤].

ويتضح من هذه النصيحة الحالة الفكرية للحكيم عنخ شاشنقي وتأثره بالمجتمع الذي نشأ فيه، فهو فلاح مصري يكره

---

(١) Ibid., col. 25, 17.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٧.

(٣) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 7, 8.

(٤) Ibid., col. 15, 15.

الاغتراب والانتقال إلى مكان آخر، فهو هنا يخشى على ابنه من الزواج بامرأة من مدينة أخرى حتى لا تغريه بالانتقال إليها والعيش معها في مدينتها ويترك أهله وعشيرته وقريته.

كما حذر الحكيم **عنخ شاشنقي** من الزواج بالمرأة المريضة، وفي ذلك يقول:

«لا تتزوج من المرأة المعتلة الصحة»[1].

ويتضح من ذلك غلبة النظرة النفعية عنده، فهو يحذر من الإرتباط بالمرأة المريضة لأنها لن تكون لديها القدرة الجسمانية الكاملة للقيام بمتطلبات المنزل كما أنها ستكون عبئاً بمرضها على زوجها.

ولقد ورد في بعض تعاليم زرادشت ما يشير إلى عملية اختيار الزوجة والصفات الواجب توافرها فيها، فنجد أن زرادشت يجعل من اختيار الزوجة أمراً منوطاً بالشخص الذي يريد الزواج، إذ إن عليه أن يقوم باختيار زوجته بنفسه، وفي ذلك يقول:

«اختر بنفسك زوجتك»[2].

---

(١) Ibid., col. 6, 24.

(٢) نوري إسماعيل، المرجع السابق، ص ٨٤.

أما الصفات المطلوبة في الزوجة فقد حددها في أمرين أساسيين وهما: الخجل والحكمة، وجاء في ذلك:

«أحب المرأة الخجولة والحكيمة وأطلبها للزواج»[1].

ويشير هذا إلى أن المجتمع الإيراني قد اعتبر حياء المرأة وحكمتها أمران أساسيان ومفضلان ويجب على المرأة أن تتمتع بهما.

وفيما يتصل بمعاملة الزوجة، فلقد وردت العديد من الحكم والنصائح في تعاليم عنخ شاشنقي، ولقد جاءت متفرقة في ثنايا حديثه عن أمور متعددة، ومما جاء فيها ويتصل بهذا الموضوع:

«إذا كان قلب الزوجة مثل قلب زوجها، فإنهما بذلك يتحرران من المشاحنة»[2].

ويشير ذلك إلى ضرورة وجود وفاق وتقارب في الصفات والطباع بين الزوج وزوجه، حيث يؤدي هذا الوفاق إلى عدم وجود مشاحنات بينهما.

ومن النصائح التي تشير إلى حسن معاملة الزوجة حتى

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ٨٤.

(٢) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 10, 14.

ولو كانت عقيم: «**لا تهجر امرأة في دارك لأنها عقيم**»[١].
وذلك رغم رغبة المصري الشديد في الإنجاب، فإنه لم يجعل من عدم الإنجاب سبباً في هجر الزوجة.

وطلب عنخ شاشنقي من الآباء عدم السخرية من الأم أمام أولادها ظناً منهم أن ذلك يرفع من قدرهم، لأن الأم هي التي تنجب وتربي فما ولد أحد من غير أم، وفي ذلك يقول:

«**لا تضحك ابنك وتبكيه على أمه، لتزيد من قدرك أمامه فما ولد فحل من فحل**»[٢].

ولقد اعتبرت تعاليم عنخ شاشنقي الزوجة انعكاساً لشخصية زوجها، ومما جاء في ذلك:

«**المرأة جسم من حجر لين تتخذ طبع أول من يتعامل معها**»[٣].

وجاء أيضاً: «**إذا عشقت المرأة تمساحاً تطبعت بطبعه**»[٤].

ومع ذلك فلقد حذر عنخ شاشنقي من إطلاع الزوجة على أسرار زوجها لأنها لن تستطيع الاحتفاظ بهذه الأسرار، وفي ذلك يقول:

---

(١) Ibid., col. 14, 16.
(٢) Ibid., col. 11, 19-20.
(٣) bid., col. 24, 20.إ
(٤) Ibid., col. 22, 8.

و «لا تفتح قلبك لزوجتك، فما ستقوله لها سيذهب إلى الطريق»[١].

«لا تفتح قلبك لزوجتك، ولا لخادمك»[٢] و «إطلاع المرأة على الأسرار يشبه زكيبة من الرمال جانبها مفتوح»[٣].

وفي موضع آخر نجد الحكيم عنخ شاشنقي يرى أن المرأة لا تثبت على حال وهي شديدة التغير من النقيض إلى النقيض حسب حالة زوجها الصحية وجاء في ذلك:

«عندما يشم الرجل رائحة المر (العافية) فإن زوجته تكون كالقطة أمامه»[٤]. أما «عندما يكون الرجل متألماً (مريضاً) فإن زوجته تصبح لبؤة أمامه»[٥].

ويرتبط بهذه الحالة الفكرية للحكيم عنخ شاشنقي، ما ورد في بعض نصائحه ويشير إلى عدم استئمان الزوجة على ثروة الزوج، وإن كان يسمح لها فقط برؤيتها، وبما جاء في ذلك:

«أسمح لزوجتك برؤية ثروتك، ولكن لا تستأمنها عليها»[٦].

---

(١) Ibid., col. 13, 16.
(٢) Ibid., col. 13, 17.
(٣) Ibid., col. 13, 20.
(٤) Ibid., col. 15, 11.
(٥) Ibid., col. 15, 12.
(٦) Ibid., col. 12, 13.

أما فيما يتصل بمعاملة الزوجة في تعاليم زرادشت، فيلاحظ من دراسة هذه التعاليم، أنها أقامت الأسرة على أسس كانت مستساغة في وقته، ومنها أن الزوجة، سواء كانت سيدة أو خادمة، كانت أقرب ما تكون إلى الرقيق، فلقد أجازت تعاليم زرادشت أن يتنازل الرجل عن زوجته أو إحدى زوجاته (حتى ولو كانت سيدة ممتازة) إلى رجل آخر قد وقع في الفاقة بغير تقصير منه، وذلك لكي تعينه بعملها على أمور الحياة، وكان ذلك أمراً محموداً عند زرادشت لأنه في نظره يعتبر إحساناً على أخ في الدين معوز»[١].

وحفاظاً على الأسرة وتماسكها، فلقد حذرت تعاليم عنخ شاشنقي وزرادشت من الوقوع في الرذيلة، واعتبرت هذه التعاليم جريمة الزنا من أشد الجرائم، وتعددت الحكم والنصائح التي تحذر من الوقوع فيها، والجرم الذي يستحقه من يقوم بهذا العمل، ومما جاء في ذلك من نصائح الحكيم عنخ شاشنقي:

«لا تنتهك حرمة امرأة متزوجة»[٢]. و «إن الذي يزني بامرأة متزوجة على السرير، فسوف تزني زوجته على الأرض»[٣].

---

(١) يحيى الخشاب: المرجع السابق، ص ١٠.

(٢) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 21, 18.

(٣) Ibid., col. 21, 19.

و «لا تقم علاقة حب مع امرأة متزوجة»[١]، و «ذلك الذي يقيم علاقة حب مع امرأة متزوجة سيقتل على عتبة دارها»[٢]. و «أن الذي يحب امرأة من الشارع، فإن ثروته سوف تصبح في مهب الريح»[٣].

وعلى ذلك فإنه يلاحظ أن تعاليم عنخ شاشنقي، قد حذرت من الوقوع في الخطأ والرذيلة مع امرأة متزوجة، لأنه كما تفعل فسوف يفعل بك، كما أن عاقبة من ينساق وراء شهواته ضياع ثروته وربما انتهى الأمر بمقتله.

أما تعاليم زرادشت فلقد كانت شديدة الصرامة في عقاب خطايا الجسد، فكان عقاب من يرتكب جريمة الزنا واللواط والسحاق من الرجال والنساء:

«أن يقتلوا، لأنهم أحق بالقتل من الأفاعي الزاحفة والذئاب العاوية»[٤].

ولقد جاء في الونديداد فيما يتصل بهذه الجرائم الأخلاقية:

---

(١) Ibid., col. 23, 6.
(٢) Ibid., col. 23, 7.
(٣) Ibid., col. 22, 6.
(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة، جـ ٢، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٤٤٠.

«يا صانع الحياة المادية إنك الإله المقدس، لو أن رجلاً وضع بذرته كرهاً، فما الجزاء الذي يستحق أن يناله؟ وما هو التعويض أو الكفارة الذي يقدمه، وكيف يتطهر من هذا الذنب»؟

يجيب أهورامزدا: «بالنسبة لهذا الذنب فليس هناك ما يمكن لمرتكبه أن يدفعه أو يعوض به أو يتطهر منه، إنه الأثم الذي لا كفارة له للأبد للأبد»[١].

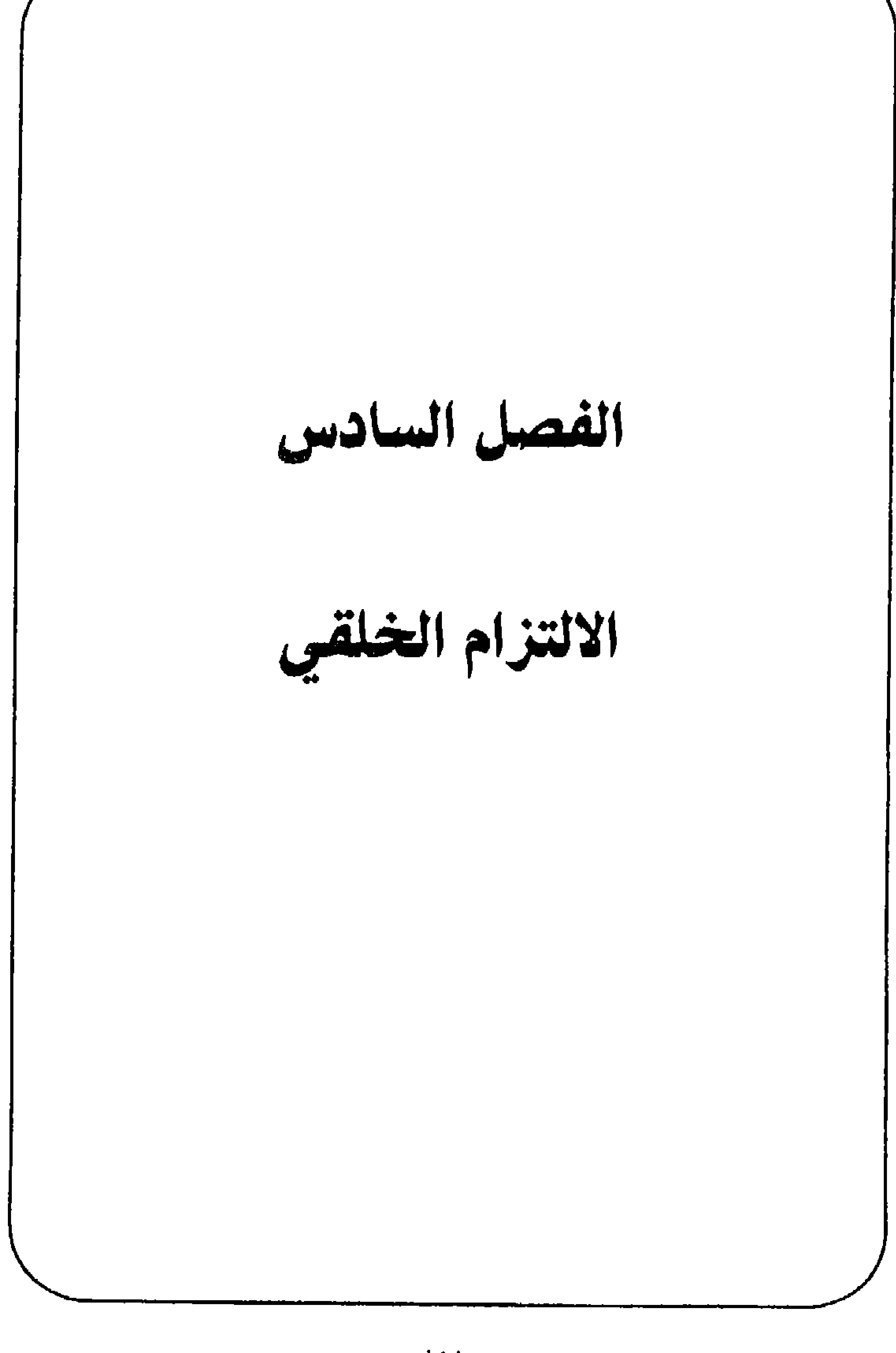
ومن ذلك يتضح أن زرادشت جعل من جريمة الاغتصاب جرماً لا يمكن التكفير عنه أو يعوض عنه أبداً.

أما جرائم اللواط والسحاق فكان عقاب من يقوم بارتكابها هو القتل[٢]. وعلى ذلك فإننا نلاحظ أن كلا من عنخ شاشنقي وزرادشت قد أعليا من شأن القيم السلوكية وجعلا الجرائم المتصلة بالعرض من أشد الجرائم وعقوبتها من أشد العقوبات.

---

(١) F.M. Muller, op. cit., part I, vol. iv, vend., v, 27.

(٢) Ibid., p. 102, No. 3.



الفصل السادس

الالتزام الخلقي

ورد في نصائح عنخ شاشنقي وتعاليم زرادشت العديد من المبادىء المتصلة بالإلتزام الخلقي، وأمكن تتبع العديد من هذه المبادىء التي سنقوم بدراستها في هذا الفصل، وهي: احترام العهد، والتحذير من الدين، والتزود بالعلم والمعرفة، والتمسك بالحق والصدق، والأمانة، وعدم الاعتماد على الآخرين، والدعوة إلى عدم اليأس والرضا بالقدر، وإعطاء أجر العامل، وأخيراً العدالة، وسنقوم بدراسة هذه المبادىء فيما يلي:

١ ـ احترام العهد:

ورد عند الحكيم المصري عنخ شاشنقي عدد قليل من النصائح التي يحث فيها ابنه على ضرورة احترام العهد، فقال له:

«لا تمضي، ثم ترجع بعد ذلك فيها اتفاقك».

ويعني بهذا ألا يتفق مع شخص على أمر معين ثم يتراجع بعد ذلك في اتفاقه[١].

---

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 7, 11, No. 93.

ونصح ابنه قائلاً: «لا تقل إنني سوف أعطي هذه الممتلكات لهذا الرجل، لو أنك لن تستطيع أن تعطيها له»[١].

وتحث هذه النصيحة على ضرورة احترام الكلمة والعهد، وعدم التعهد بشيء إلا إذا تأكد الشخص من إمكانية الوفاء به.

أما فيما يتعلق بالحكيم الإيراني زرادشت فقد ورد في تعاليمه العديد من الفقرات التي تشير إلى ضرورة احترام العهود بكافة أنواعها، وتشديد العقوبة على من يخرقها. فقد ورد في «الونديداد»:

«عندما سأل زرادشت إلهه أهورامزدا، عن المواثيق والعهود، فأجاب أن عددهم ستة من بينهم ميثاق الكلمة وميثاق اليد، والاتفاق على أي شيء سواء كان ماشية أو أراضي زراعية»[٢].

والمقصود بميثاق الكلمة عند زرادشت، الكلمة التي تخرج من الفم، «وعندما سأل زرادشت أهورامزدا عن أسوأ الخطايا التي يرتكبها الإنسان، أجاب الإله أنه ليس هناك ذنب أسوأ من أن يتعاهد رجل مع آخر بالكلمة على أمر ما، وليس هناك شهود إلا أهورامزدا نفسه، ثم ينقض هذه الكلمة ويقول

(١) Ibid., col. 18, 22.
(٢) F.M. Muller, op. cit., p. 34.

إنني لا أعلم شيء عن هذا».

أما ميثاق اليد فالمقصود به، المصافحة التي تتم باليد بعد الاتفاق بالكلمة لتوثيق العهد[١].

وشدد الحكيم الإيراني على عقوبة من ينقض العهد فقد ورد في الونديداد: عندما خاطب زرادشت آلهه أهورامزدا، قائلاً: «يا خالق العالم المادي، إنك مقدس، لو أن رجلاً لم يحترم ميثاق الكلمة، فكيف يكون عقابه» ويجيب أهورامزدا: «أنه آثم وعليه أن يعوض الشخص الذي نقض ميثاق الكلمة معه بثلاثمائة من قطيع الخراف، وتظل روحه خالدة في جهنم في العالم الآخر إذا لم يفعل».

وورد أيضاً: «يا خالق العالم المادي أنك مقدس، لو أن رجلاً خرق ميثاق اليد، فكيف يكون عقابه».

يجيب أهورامزدا قائلاً: «إنه آثم وعليه أن يعوض من خرق معه ميثاق اليد بستمائة من الخراف، وتظل روحه خالدة في جهنم إذا لم يفعل هذا»[٢].

وورد أيضاً في الونديداد: «لو أن رجالاً تربطهم علاقة أخوة أو صداقة وبينهم مودة، وتواعدوا على اتفاق معين خاص

---

(١) Ibid., p. 34, No. 4.

(٢) Ibid., p. 34-35.

ببضائع أو زواج أو علم، فلينفذ كل منهم ما اتفقوا عليه»[1].

وجاء أيضاً في تعاليم زرادشت: «**لا تحنث بوعدك أبداً، حتى لا تفقد ماء وجهك**»[2].

٢ ـ التحذير من الدين:

حذر عنخ شاشنقي ابنه من الدين إلا للضرورة، فقال له:

«**لا تقترض مالاً لكي تعيش ميسوراً منه، واقترض مالاً فقط للضرورة كاتخاذ زوجة أو شراء أرض زراعية**»[3].

وفي نفس الوقت يحذر ابنه من إقراض أي شخص بدون ضمان، فقال له:

«**لا تقرض مالاً لأحد لمنفعته الذاتية بدون ضمان، ولا تثق كثيراً بالغير خشية أن تصبح فقيراً**»[4].

أما الحكيم الإيراني زرادشت فقد نظر إلى الشخص الذي يقترض شيئاً من آخر سواء كان مالاً أو متاعاً، ثم يرفض إعادته أو رده، على أنه لص، وتستمر هذه الصفة ملاصقة له طالما ظل محتفظاً بهذا الشيء في بيته معتبره ملكاً خاصاً به، وقد

(١) Ibid., p. 45.

(٢) نوري إسماعيل، المرجع السابق، ص ٨٤.

(٣) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 16, 9, 10, 12.

(٤) Ibid., col. 21-22.

وصمه زرادشت بصفة أخرى وهي صفة الكذب وسوء النية[١].

٣ ـ التزود بالعلم والمعرفة:

حث كل من الحكيم المصري عنخ شاشنقي والحكيم الإيراني على ضرورة التزود بالعلم والمعرفة فهما السبيل لتحقيق النجاح في الحياة.

ووردت بعض الفقرات عند عنخ شاشنقي يظهر فيها أهمية النقاش والاستشارة وقيمة العلم والفهم، إذ يقول لابنه:

«تحر عن كل أمر واعرفه»، و «لا تشاور عالماً في أمر تافه إذا وجد أمر جليل، ولا تشاور جاهلاً في أمر جلل إذا وجد عالم تستطيع أن تشاوره».

وجاء أيضاً: «إذا تلمست ثلاثة حكماء لشأن واحد فلسوف يبلغ ذلك بيت الرب الأكبر يقيناً»[٢].

ويدعو عنخ شاشنقي ابنه إلى العلم والمعرفة والبحث فقال له: «تعلم بِنْيَةَ وتركيب السماء، وتعلم بنية وتركيب الأرض، وأن البحث والفحص يؤديان إلى النجاح المشرف»، و «لا تفعل شيئاً قبل دراسته وفحصه أولاً، وادرس كل حالة لا تستطيع فهمها»[٣].

---

(١) F.M. Muller, op. cit., p. 34, nos (1-2).

(٢) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 6, 7, 13, 14; 15, 9; 10, 6.

(٣) Ibid., col. 25, 12; 8, 4-5; 6, 7.

وإظهاراً لمكانة العلم، أوضح عنخ شاشنقي لابنه: «أن العلاج لن يكون مؤثراً إلا إذا نصح به طبيب، وأن العلم هو الذي يميز سكان المدينة بعضهم عن بعض»[1].

وجعلت التربية المصرية سبيل سعادة النشىء إتقانه لفن الكتابة (أي التعليم)، وحضته إلى جانب ذلك على التواضع بعلمه وعدم الادعاء.

فقال عنخ شاشنقي لابنه: «**لا تقل أجدت الكتابة ما دمت لست كذلك، ولا تقل إني متعلم، واستمر في تحصيل المعرفة**»[2].

أما **الحكيم الإيراني زرادشت فقد دعا إلى العلم كوسيلة** للوصول إلى الكمال، فقد ورد في الونديداد:

«ينبغي على المرء أن يبحث في نفسه عن خصائص وهو منو، أي الروح الخيرة، حيث يجب أن يصل البشر إلى الكمال من خلال العلم والمعرفة حتى الاقتراب من نبع المعرفة الأزلي والأبدي[3].

٤ ـ التمسك بالحق والصدق:

ومن القيم الأخلاقية التي حث عليها كل من الحكيم

(١) Ibid., col. 19, 24; 8, 2.

(٢) Ibid., col. 10, 8; 8, 3.

(٣) نوري إسماعيل، المرجع السابق، ص ٨١.

المصري عنخ شاشنقي والحكيم الإيراني زرادشت الحق والصدق، فأوصى الحكيم المصري ابنه بأن يتحرى الحق ويأذن لغيره بأن يقوله، فقال له:

«لا تعمل على أن يكون لك صوتان، وقل الأمر الواقع لكل إنسان واجعله قسيم حديثك، وأسمح لمن عمل ما عهد به إليه بأن يرفع صوته»(١).

ويطالب عنخ شاشنقي ابنه بأن لا يخشى في الحق لومة لائم فيقول له: **«لا تخشى من فعل شيء أنت مؤمن بأنه حق»**(٢).

وينفر عنخ شاشنقي ابنه من الكذب واليمين الكاذب لأنه يؤدي به إلى الهلاك فيقوله له:

لا تقسم يميناً كاذباً عندما تكون في ضيق (موقف حرج) خشية أن تصبح في وضع أسوأ مما أنت عليه»(٣).

أما **الحكيم الإيراني زرادشت**، فقد جعل الحق من الوسائل التي تؤدي إلى رضى الإله، فقد ورد في ترنيمة ياسنا رقم (٤٧) فقرة (١).

---

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 13, 14-15; 12, 23.

(٢) Ibid., col. 15, 13.

(٣) Ibid., col. 16, 13.

«الإله الحكيم أهورامزدا، كروح مقدس، سوف يمنحنا مقابل العقل الخير، والأفعال والكلمات المتفقة مع الحق، القوة والتقوى والكمال والخلود»[١].

ومن خلال هذه الفقرة نجد أن الإله يكافىء من اتخذ الحق سبيله بالقول والفعل، بأن يكتب له الكمال والخلود.

ويكرر زرادشت في أكثر من موضع في الجاثات أن قول الحق وفعله من أهم الوسائل التي تجعل المرء ضيفاً مكرماً عند الرب الحكيم[٢]. والصدق عند زرادشت ركن أساسي في تعاليمه الأخلاقيه والكذب عنده من شر الرزائل، حتى إنه قد حرم الاستدانة من الغير لأنها تدفع المستدين في النهاية إلى الكذب[٣].

وورد أيضاً في ترنيمة ياسنا رقم (٤٧) فقرة (٤).

«لقد ابتعد عبدة الكذب عن الروح القدس، أهورامزدا، ولم يقم بذلك عبدة الحق، ينبغي أن يكون الأشخاص الذين هم قادرون رحماء مع عابد الحق وقساة مع عابد الكذب»[٤].

ويُعد الصدق من الأسس التي قامت عليها العقيدة

---

(١) F.M. Muller, op. cit., vol. xxxi, Part III, p. 147-148.
(٢) Ibid., p. 40.
(٣) Ibid., vol. IV, Part I, p. 34, No (2).
(٤) Ibid., vol. xxxi, Part III, p. 149.

الخاصة بزرادشت، فقد كان الحكيم الإيراني حريصاً على التأكيد على صراط واحد هو الصدق، ورغم أن الإنسان في هذه العقيدة كان حر الإرادة في أن يختار صراط الصدق أو الكذب، إلا أنه مكلف باختيار صراط الصدق الذي يوجهه إلى القيام بالأفعال الصالحة، والابتعاد عن الشرور والسيئات حتى يصل إلى السعادة والكمال في العالم الدنيوي، ويدخل الجنة في عالم الفناء.

٥ ـ الأمانـــة:

تُعد الأمانة من القيم الأخلاقية التي حث عليها كل من الحكيم المصري عنخ شاشنقي والحكيم الإيراني زرادشت ـ فقد أظهر عنخ شاشنقي لابنه كراهية سرقة ممتلكات الغير، فقال له:

«الحارس الذي يسرق، فإن ابنه سيكون رجلاً فقيراً»، «هذا الذي يسرق ويسلب ممتلكات الغير لن ينتفع بها»[(١)].

وتوحي هذه النصائح بأن من يخون الأمانة، لن يبارك له الإله فيما سلبه، ولن يورث أبنائه إلا الفقر. وقال أيضاً:

«طالما أن أخي لم يكف عن السرقة، فإنني لن أكف عن ردعه»[(٢)].

---

(١) S.R.K. Glanville, col. 11, 11, 17; col. 7, 14.

(٢) Ibid., col. 12, 15.

ويؤكد هذا الإصرار على محاربة السارق وردعه.

وينفر عنخ شاشنقي ابنه من السرقة وعدم الأمانة بقوله: **«كل أنواع الماشية تلقى ترحيباً في المنزل، أما اللص فلا يلقي ترحيباً»**[1].

وفي هذا إيحاء بأن اللص أحط قدراً من كل أنواع الماشية حتى عديمة النفع منها، فهو مكروه ولا يلق قبولاً من أحد.

أما الحكيم الإيراني زرادشت، فقد مدح الأمانة وجعلها من القيم التي لا بد للمرء أن يتمسك بها، فقد ورد في ترنيمة ياسنا رقم (٢٩) فقرة (٥):

«بيدين مرفوعتين نبتهل إلى الرب، نحن الاثنتان، روحي وروح البقرة الأم نستحث الرب الحكيم أن يأمر بألا يقع ضرر على الرجل الأمين راعي القطيع في وسط الأشرار الذين يحيطون به»[2].

وهو يجعل هنا الرجل الأمين جدير بأن يقف الإله الحكيم بجواره ويباركه في صراعه مع الأشرار.

وهناك ميثاق مدون في الأبستاق، كان على كل شخص

---

(١) Ibid., col. 20, 15.

(٢) F.M. Muller, op. cit., p. 8-9.

يدخل في الديانة الزرادشتية أن يقسم به، وينتهي بالعبارة الآتية:

«لن أقدم على سلب أو نهب أو تدمير أو تخريب، أقر أنني أعبد أهورامزدا، وأعتنق دين زرادشت، وألتزم عمل الخير، والكلم الطيب والعمل الصالح»[1].

وأعظم الفضائل عند زرادشت التقوى، ويأتي بعدها مباشرة الشرف والأمانة عملاً وقولاً[2].

٦ ـ عدم الاعتماد على الآخرين:

من القيم الأخلاقية التي ظهرت بوضوح في نصائح الحكيم المصري عنخ شاشنقي وأشار إليها الحكيم الإيراني زرادشت، الترغيب في تكوين ممتلكات خاصة بالفرد وعدم الاعتماد على الآخرين، فقد نصح عنخ شاشنقي ابنه فقال له:

«لا تعتمد على ملكية شخص آخر قائلاً: «أنني سوف أعيش عليها، كون ملكاً خاصاً بنفسك»، «من الأفضل أن تسكن في منزل صغير خاص بك أي تمتلكه من أن تسكن في منزل كبير

---

(١) حامد عبد القادر، المرجع السابق، ص ٧٣ ـ ٧٤.

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة ذكي نجيب محمود، جـ ٢، ١٩٤٩، ص ٤٣٢.

ملك لغيرك»، «لا تقلق طالما تملك شيئاً ما». و «لا تعيش في مدينة لا تملك فيها شيئاً»، «هذا الذي يسرق أو يسلب ممتلكات الغير، لن ينتفع بها»[١].

ووردت إشارة عند الحكيم الإيراني زرادشت في الونديداد، تشجع الأفراد على تكوين ممتلكات خاصة بهم، وتكون الثروة، فقال زرادشت: «**الشخص الذي يملك بيتاً أفضل من لا بيت له، والغني أعلى منزلة من الفقير الذي لا يملك شيئاً**»[٢].

٧ ـ الدعوة إلى عدم اليأس والرضا بالقدر:

جاء في تعاليم كل من عنخ شاشنقي وزرادشت ما يشير إلى الدعوة إلى عدم اليأس والرضا بالقدر وأن يقنع الإنسان بما لديه وأن لا يفكر إطلاقاً في إنهاء حياته لأن دوام الحال من المحال، فلقد جاء في تعاليم عنخ شاشنقي فيما يتصل بعدم إقدام المرء على الانتحار نظراً لمروره ببعض الأزمات.

«**لا تفضل الموت على الحياة يأساً في أيام الضراء**»[٣].

وفي مكان آخر نجد عنخ شاشنقي يعالج هذا الموضوع

---

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., cols, 6, 10; 23, 8; 6, 22; 21, 24; 7, 14.
(٢) F.M. Muller, op. cit., vol. IV, Part I, p. 46.
(٣) Ibid., col. 19, 15.

بشكل ساخر فيقول: «لا يتخلى أحد أبداً عن الحياة نظراً لوفاة آخر»[1].

أما بالنسبة لتعاليم زرادشت، فلقد حرمت التعاليم الزرادشتية الانتحار، واعتبرته من أبشع الأعمال التي يقوم بها الإنسان، ذلك لأن الانتحار يعتبر جريمة ضد «أهورامزدا»، وذلك لأن من ينتحر يقلل من عدد المجاهدين في سبيل الحق وحركة الجهاد ضد قوى الشر، لأن «أهورامزدا» في أشد الحاجة إلى كل من يستطيع أن ينضم إلى معسكر الخير، كما أن الانتحار أيضاً يعتبر جريمة ضد المثل الروحانية السامية، لأن من ينتحر يطفىء نار التحمس للحق المقدس الكامن في نفسه، ويضاف إلى ذلك أن كل فرد ليس مطالباً بالمحافظة على حياته فحسب، بل إنه مطالب أيضاً بأن يواظب على إبقاء شعلة التحمس مشتعلة في نفسه، كما يواظب الكهنة على إبقاء النار المقدسة في دور النيران[2].

وتعتبر هذه القيمة الأخلاقية والسلوكية الخاصة بإيقاظ شعور الإنسان بالواجب المقدس، وإشعال نار التحمس للحق في نفسه ميزة بارزة تمتاز بها التعالم الزرادشتية، وتجعلها من

---

(١) Ibid., col. 19, 12.

(٢) حامد عبد القادر: المرجع السابق، ص ٧٨.

التعاليم الإنسانية السامية، ذلك لأنها تتطلب أن يبقى الإنسان قوة حيوية نشيطة وأداة فعالة لنشر الخير، وأن يكون إيجابياً في التعامل مع غيره وأن يعمل دائماً في سبيل الحق والعمل الصالح.

ودعت تعاليم عنخ شاشنقي إلى التمتع بالحياة وأن يبقى الإنسان في مرح وسرور ما دام حياً، وجاء في ذلك:

«إن الشخص المرح عشبة يزدهر»[١].

وجاء أيضاً: **«ليس هناك شخصاً بائساً إلا ذلك الذي يموت»**[٢].

كما دعت القيم الأخلاقية والسلوكية عند عنخ شاشنقي إلى الرضا بالقدر والنصيب والإيمان بهما، فكل شيء مقدر للإنسان، وجاء في ذلك:

«الصياد يلقي الشباك دون معرفة بأنه الإله الذي يرسل إلى كل منزل»[٣].

وجاء فيها فيما يتصل بأن كل شيء مقدر للإنسان:

«سمة الرجل في وجهه»[٤].

---

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., 19, 16.
(٢) Ibid., col. 19, 17.
(٣) Ibid., col. 11, 15.
(٤) Ibid., col. 11, 13.

ودعا عنخ شاشنقي إلى عدم اليأس عند التعرض للمحن، فقال:

«لا تكن جزوعاً عندما تتعرض لمحنة، ولا تتمنى الموت»[1].

وقال أيضاً: «عندما يصيبك المرض لا تبتئس، فالمرض ليس معناه الموت»[2]. وجاء أيضاً: «هذا الذي يكون صبوراً في موقف سيىء، فإنه لن يتعرض للأذى»[3].

كما دعا إلى عدم التذمر والصبر فدوام الحال من المحال: «لا تقل هذا صيف، فهناك شتاء أيضاً»[4].

أما تعاليم زرادشت فقد دعت إلى عدم الندم على ما فات والقلق من المستقبل، فجاء فيها:

«إنس كل ما مضى، ولا تقلق على ما لم يأتِ بعد»[5].

٨ ـ إعطاء أجر العامل:

دعت التعاليم الأخلاقية والسلوكية عند عنخ شاشنقي

---

(١) Ibid., col. 19, 15.
(٢) Ibid., col. 18, 21.
(٣) Ibid., 14, 6.
(٤) Ibid., col. 9, 16.
(٥) إسماعيل نوري: المرجع السابق، ص ٨٣.

وزرادشت إلى إعطاء العامل أجره، حسب عمله، فلقد ورد في تعاليم عنخ شاشنقي:

«اعط رغيفاً لذلك العامل الذي يعمل لديك، واعط رغيفين لذلك الذي يعطي الأوامر»[١].

وجاء في تعاليم زرادشت ما يشير إلى أن من يتخلف عن سداد الأجر المستحق إلى العامل فسوف يجد عقابه إن آجلاً أو عاجلاً، ولقد جاء فيها:

«هذا ما أسألك عنه، أيها الرب، أجبني بالصواب، هذا الذي لا يعطي أجراً لمن يستحق، هذا الذي لا يعطيه طبقاً لكلمته، ماذا سيكون عقابه الحالي، علماً بما سيلقاه في النهاية»[٢].

٩ ـ العدالـــة:

تعتبر العدالة من أهم القيم الأخلاقية والسلوكية، ويمثل تحقيقها والعمل بها قيمة أخلاقية سامية، ولقد اعتبر عنخ شاشنقي أن وجود الحاكم العادل هو من نعم الآلهة التي ينعم بها على أهل المقاطعة وفي ذلك يقول:

---

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 22, 19.

(٢) فيليب عطية: المرجع السابق، ص ٨٩.

«النعمة الإلهية لمقاطعة تتمثل في حاكم يحقق العدالة»[1].

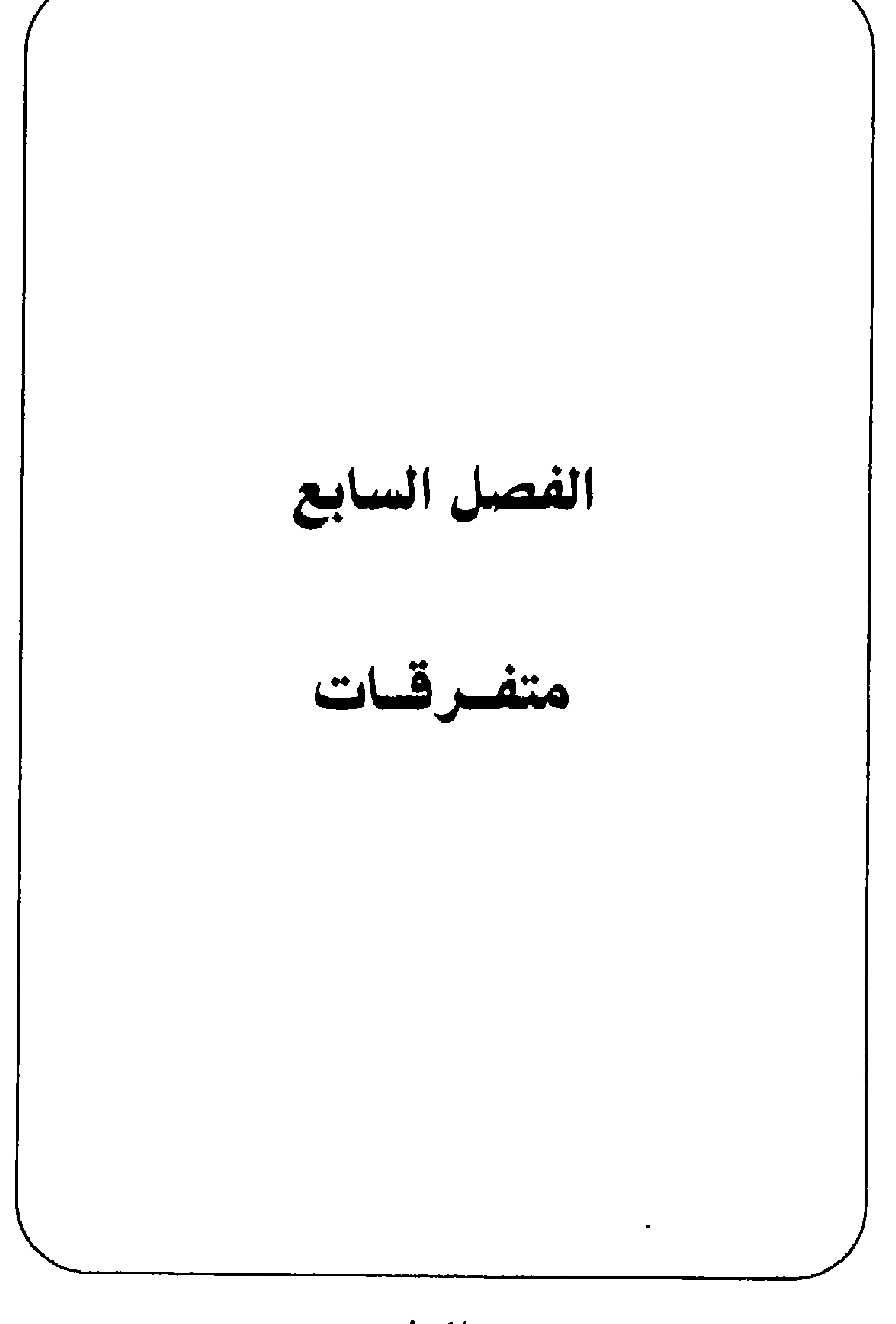
أما ترانيم زرادشت فلقد اعتبرت أن الشخص الذي يتحلى بالعدالة يستجيب الإله لرغباته، ولقد جاء في ذلك:

«الأتقياء الذين وجدتهم مستحقين بسبب عدلهم وعقلهم الخير، لَبِّ رغبتهم أيها الرب الحكيم، أجعلهم يحصلون عليها، أعرف أن كلمات الصلاة التي تخدم الخير تلقى القبول أمامك»[2].

---

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 8, 17.

(٢) فيليب عطية: المرجع السابق، ص ٨٩.



الفصل السابع

متفـرقـات

تنفرد تعاليم عنخ شاشنقي بعض القيم الأخلاقية ومنها :

أ ـ النهي عن الحسد :

فقد نصح ابنه بقوله : «لا تنظر إلى ممتلكات غيرك، حتى لا ينظر الآخرون إلى ممتلكاتك»، و «لا تقل هذه أرض أخي، انظر إلى ما يخصك فقط». و «أنا أمتلك الكثير، وأخي يمتلك الكثير، فآخذ مما يخصني، وألا أنظر إلى ما معه»[1].

ب ـ التواضع :

ورد عند الحكيم المصري عنخ شاشنقي بعض النصائح التي يحث فيها ابنه على ضرورة التواضع في التعامل مع الآخرين، فقال له :

«إن العظيم الذي يتواضع سلوكه يزداد مديحه».

و «تواضع تزداد سمعتك في قلوب الناس جميعاً».

و «لا تقل إنني غني بما أمتلك.. فهناك من هم أعظم

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 14, 20; 8, 16; 10, 16.

قدراً منك»، و «الكبرياء يحطم الرجل الغني».

و «لا تقل أجدت الكتابة ما دمت لست كذلك، ولا تقل أني متعلم، واستمر في تحصيل المعرفة».

و «هذا الذي يرفع البصاق عالياً إلى السماء، فإنه سوف يسقط عليه».

و «عندما يظن الشاب الصغير أنه يعرف كل شيء، فإن معرفته ستكون خاطئة».

و «لا تهزأ بتقرير بسيط، ولا بنار بسيطة، ولا بجندي صغير»[١].

«لا تحتقر أن تقوم بعمل يمكن أن تعيش منه».

و «لا تستهن بتقرير يحمل ادعاء عليك».

و «لا تستهين بأمر يتعلق بالأمن، فالذي يستهين به تموت غالباً منه»[٢].

ومع ذلك فعنخ شاشنقي يدعو ابنه إلى الاعتزاز والثقة بالنفس مع التواضع، فيقول له:

«لا تخش من فعل شيئاً أنت مؤمن بأنه حق»، «ولا تكون

---

(١) Ibid., 17, 26, 28, 2; 12, 10; 10, 2; 8, 3, 11, 10; 10, 9; 16, 25.
(٢) Ibid., 7, 9; 6, 5; 9-8-9.

ذليلاً أمام شخص عظيم»[1].

جـ الحذر والحرص:

ومن القيم الأخلاقية التي ترددت في مواضع كثيرة عند الحكيم المصري عنخ شاشنقي الحذر والحرص، فقد نصح ابنه بالحذر عند تعامله مع التجار فقال له:

«لا تتخذ تاجراً صديقاً لك، فهو يعيش دائماً ليربح فقط، ولا تشرب ماءً في منزل تاجر، فإنه سوف يحاسبك عليه»[2].

ويحذر عنخ شاشنقي ابنه من الثقة المفرطة في تعامله مع الآخرين فقال له: **«إذا صادقت رجلاً حكيماً، ولم تعرف ما في قلبه، فلا تفتح له قلبك، واسمح لزوجتك برؤية ثروتك، ولا تستأمنها عليها»**[3].

ويحذره أيضاً من التسرع في اتخاذ بعض القرارات، حتى لا يندم عليها بعد ذلك فقال له:

«لا تبع منزلك ومصدر دخلك يوماً ما لغرض أو مصلحة، ثم تصبح فقيراً للأبد، ولا ترسل أحداً إلى المدينة متى توقعت متاعب فيها، ولا تتسرع في الذهاب إلى القاضي ثم بعد ذلك

---

(١) Ibid., 15, 13; 23, 22.
(٢) Ibid., 28, 4; 16, 5.
(٣) Ibid., 14, 8; 12, 13.

تنسحب من أمامه، ولا تكن مثبط الهمة في أمر ما يمكن أن تسأل فيه النصيحة، ولا تقل انتهى مرضي، فلن آخذ الدواء»[1].

وينصح عنخ شاشنقي ابنه محذراً من اتخاذ بعض المواقف إذا لم يكن قادراً عليها، فقال له:

«لا تدفع بالرمح، إذا لم تكن قادراً على تحديد الهدف، ولا تهرب بعيداً بعد أن تضرب شخصاً ما، خشية أن يكون عقابك مضاعفاً، ولا تبدأ في إشعال نار، لو أنك لا تستطيع إطفاءها»[2].

ويحذر عنخ شاشنقي ابنه من متاعب الطريق، فينصحه قائلاً:

«لا تتأخر في الطريق حتى المساء، قائلاً إنني على «ثقة بمن في المنازل، فأنت لا تعلم قلوب ساكنيها، ولا تمشي في الطريق بدون عصا في يدك، ولا تمشي وحيداً في الليل»[3].

ويأتي عنخ شاشنقي بعدد من الحكم في صورة أمثال شعبية تتعلق باتخاذ الحذر في الحياة بشكل عام، ومنها:

«هذا الذي لدغ من عضة الثعبان، يخاف من لفة الحبل»،

---

(١) Ibid., 25, 6; 6, 15; 21, 13; 12, 7; 17, 7.
(٢) Ibid., 11, 9; 7, 12; 22, 3.
(٣) Ibid., 11, 16; 17, 14; 17, 16.

و «لا تقتل الثعبان وتترك ذيله»، و «عندما تتكلم مع رئيسك في أمر ما، فعد على أصابعك حتى عشرة»، و «ليس هناك شخص يلعب بالعصا ولا يناله ضربة منها»(١).

ورغم تحذير عنخ شاشنقي لابنه في الكثير من المواقف، إلا أنه يطالبه أن يكون شجاعاً في مواجهة عدوه، فقال له:

«لو إن عدوك كان يبحث عنك فلا تتوارى منه»(٢).

و «لا تتخذ صديقاً يتصف بالجبن أو إثباط الهمة، فيجعلك لا تتخذ موقفاً حقاً، فمائة رجل يذبحون نتيجة لحظة خوف واحدة»(٣).

ويطالبه أيضاً بنبذ الحذر في بعض المواقف، وحسن المواجهة، فنصحه قائلاً: «لا تكن حذراً في موقف سيىء يحتاج المواجهة»(٤).

أما الحرص بمعنى الاقتصاد فقد نصح عنخ شاشنقي ابنه باتخاذه كسلوك له في حياته، فقال له:

«لا تسرف قبل أن تؤسس مخزناً خاصاً بك، وانفق طبقاً لإمكانياتك، وإذا كسبت الكثير (؟).. فأدخر جزءاً منه لتحقق

---

(١) Ibid., 14, 14; 11, 8; 22, 18, 21, 11.
(٢) Ibid., 19, 5.
(٣) Ibid., 15, 24-25.
(٤) Ibid., 16, 18.

الأمان في المستقبل، والأفضل أن تكون لك ثروة صغيرة تحافظ عليها من أن تكون لك ثروة ضخمة تبددها، وأعطي رغيفاً واحداً لمن يعمل عندك، وتسلم رغيفين من عمل يده، ولا تضع ثروتك في مكان واحداً»[1].

وينصح عنخ شاشنقي ابنه أن يكون حريصاً في معاملته مع الآخرين فقال له:

«لا تقرض مالاً لأحد لمنفعته الخاصة بدون الحصول على ضمان»، و «لا تتخذ موقفاً عدائياً من رئيسك، إذ لم تكن واثقاً من نجاحك»[2].

وينصحه أيضاً بالحرص كل الحرص في اتخاذ المواقف أو القرارات، حتى لا يحمل نفسه فوق طاقتها، فيقول له: «لا تتعهد بأمر إذ لم تكن تستطيع إنجازه، ولا تتحمل مسؤولية ما إذا لم تكن لديك القدرة للاستمرار فيها حتى نهايتها»[3].

ويدعو عنخ شاشنقي ابنه بتوخي الحرص في الحديث وخاصة إذا ما تعلق الأمر بالفرعون، حتى لا يصيبه الأذى، فقال له:

«لا تتكلم عن الفرعون عندما تكون ثملاً، فزلة اللسان في

(١) Ibid., 9, 24-25; 18, 3; 23, 9; 22, 19; 29, 20.
(٢) Ibid., 16, 21; 8, 11.
(٣) Ibid., 12, 21; 24, 19.

القصر الملكي تساوي ذلة دفة السفينة في عرض البحر»[1].

كما يحذره أيضاً من سقطات اللسان في حديثه مع الناس، فيقول له:

«لا تتسرع في حديثك مع رئيسك، وقد يفضل البكم زلق اللسان، وقد يستر الصمت حمقاً، ولا تقل شيئاً ما إذا لم يكن الوقت مناسباً له»[2].

ويعلق أ.د. عبد العزيز صالح على ذلك بقوله، أن الاتجاه المحمود الذي دأبت التعاليم المصرية في عصورها الفرعونية جميعاً على أن تصرف النشىء إليه، إنما كان الاتزان في الخطاب والجواب واختيار لكل مقام ما يناسبه من الحديث، بحيث دعت إلى إيثار الصمت، بمعنى التسامح إذا كان صمتاً عن إساءة، وتفسيره بمعنى اتقاء الذلل إذا عجز صاحبه عن ذكر الخير وحل المشكلات»[3].

د ـ الدعوة إلى التمسك بالحكمة والحكماء واجتناب الحمق والحمقى:

تعتبر القيم الأخلاقية والسلوكية الخاصة بالتمسك بالحكمة والحكماء واجتناب الحمق والحمقى من القيم التي

(١) Ibid., 16, 16; 23, 10.

(٢) Ibid., 17, 10; 15, 16; 23, 4; 12, 24.

(٣) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص ٩٠.

تداولها أدب الحكمة في مصر القديمة طوال عصورها، ونجد هنا عنخ شاشنقي قد ردد في هذا المجال ما سبقه إليه الحكماء السابقون، ولقد ذكر العديد من الأمثلة المتصلة بالمقابلة بين الحكيم والأحمق، ومنها:

«ليس هناك رجل حكيم يصيبه سوء، وليس هناك رجل أحمق يكسب فائدة»(١).

أي أن الحكيم يستطيع أن يدرء عن نفسه المصائب، أما الأحمق فإنه لا يستطيع بحمقه أن يكسب شيئاً ما.

ومن الحكم التي توضح أن الحكيم والأحمق لا يجتمعان أبداً:

«رغبة الأحمق في أن يذهب مع رجل حكيم، مثل رغبة أوزة في أن تذهب مع سكين ذبحها»(٢).

و **«عمل الأحمق لا يصلح في منزل رجل حكيم»**(٣).

و **«الرجل الحكيم يبحث عن صديق، والأحمق يبحث عن عدو»**(٤).

(١) S.R.K. Glanville, op. cit., col. 21, 7-8.
(٢) Ibid., col. 22, 12.
(٣) Ibid., col. 12, 2.
(٤) Ibid., col. 13, 2.

وفي هذا المجال أيضاً، فإنه يذكر أن الحكيم لا يصادق إلا حكيماً أما الأحمق، فإنه لا يصاحب إلا أحمقاً مثله: «صديق الأحمق أحمق، وصديق الحكيم حكيم»[١]. أما عن الرجل الحكيم فإنه يقول:

«يشعر بالسعادة في قلبه، ذلك الذي يأتي بفكر مميز أمام رجل حكيم»[٢].

و «الرجل الحكيم هو الذي يسأل النصيحة فتدوم منزلته للأبد»[٣]. و «فخر الحكيم فمه»[٤].

و «كل رجل يستطيع كسب الممتلكات، لكن الرجل الحكيم هو الذي يستطيع المحافظة عليها»[٥].

وفيما يتصل بالأحمق، فلقد أورد العديد من الحكم والأمثال الخاصة به ومنها:

«تمثال من الحجر خير من ولد أحمق»[٦].

---

(١) Ibid., col. 13, 6-7.

(٢) Ibid., col. 12, 8.

(٣) Ibid., col. 12, 9.

(٤) Ibid., col. 8, 23.

(٥) Ibid., col. 13, 9.

(٦) Ibid., col. 21, 20.

وفي هذا يذكر أن تمثال الحجر الذي لا فائدة منه خير من الولد الأحمق.

«وطريق الإله واضح أمام كل الناس، ولكن الغبي لا يستطيع اكتشافه»[١].

أي أن الأحمق لا يستطيع أن يتبين الطريق السليم الصائب.

و **«لا تنصح غبياً حتى لا يكرهك، ولا تنصح من لا يصغي إليك»**[٢]. لأن الأحمق لا يتقبل النصيحة، ويكره من يقدمها إليه، كما أن الشخص الذي لا يصغي إلى النصيحة لا يستحق أن تسدى إليه.

و **«لن تدخل تعاليم أخرى في قلب الأحمق، فما في قلبه هو الذي في قلبه»**[٣].

أي أنه لن يتقبل أية نصيحة، فهو ليس على استعداد لتقبل أي شيء غير الذي في فكره، وجاء أيضاً:

«إعط مائة قطعة فضية لامرأة ذكية رزينة، ولا تأخذ مائتين من امرأة غبية»[٤].

---

(١) Ibid., col. 23, 12.
(٢) Ibid., col. 7, 4-5.
(٣) Ibid., col. 27, 10.
(٤) Ibid., col. 18, 9.

والمعنى هنا واضح وهو أن الإنسان إذا منح المرأة الذكية فلن يضيع عندها، أما الغبية، فلا خير يرجى منها حتى ولو كان مكسباً مؤقتاً.

هـ ـ معاملة الأخوة والأبناء والخدم:

وردت العديد من الحكم والنصائح المتصلة بكيفية معاملة الأخوة والأبناء، وفيما يتصل **بمعاملة الأخوة**، فلقد وردت العديد من الحكم والأمثال ومنها:

«الأخ العطوف في الأسرة، هو ذلك الشخص الذي يتصرف كأخ أكبر»[١].

ومعنى ذلك أن الأخ الأكبر في الأسرة مطلوب منه أن يتصف بالعطف على أسرته. وجاء في حكمة أخرى ما يحض الأخ على العمل على رفعة شأن أخوته إذا ما ارتفع شأنه:

«لو وصلت إلى القمة، وكسبت ممتلكات عديدة، فاجعل أخوتك عظماء معك»[٢].

وجاء في حكمة أخرى:

«لا تكره من يقول لك أنا أخوك»[٣].

---

(١) Ibid., col. 19, 10.

(٢) Ibid., col. 15, 7.

(٣) Ibid., col. 16, 23.

كما حذر من التدخل بين الأخوة في حالة خصامهما، فإنهما حينما يتصالحان ستصبح أنت عدو لهما: **«إذا اختصم أخوان لا تتدخل بينهما، فمن تدخل بين أخوين حين يختلفان وقع بينهما حين يتصالحان»**[١].

ومن ناحية أخرى فلقد حذر الحكيم عنخ شاشنقي من الأخوة الأشرار واعتبر العزلة خيراً من التعامل معهم، **«العزلة خير من أخ شرير»**[٢].

أما عن **معاملة الأبناء**، فلقد وردت العديد من الحكم والنصائح المتصلة بهم، ومنها ما يدعو أنه على الأب أن يحافظ على كرامة ابنه:

«لا تدع عمل الخادم لولدك، إن استطعت أن تجعل (الخادم) يؤديه، وإياك أن تتسبب في أن يفقد ولدك دخله»[٣].

كما دعت حكمة أخرى الآباء إلى التعامل مع أبنائهم حسب مراحلهم السنية فقال:

«لا تقل (يا) ولد لمن نضج، ولا تتجاهل من جانبك من كبر»[٤].

---

(١) Ibid., col. 19, 7.
(٢) Ibid., col. 21, 21.
(٣) Ibid., col. 7, 3.
(٤) Ibid., col. 14, 21-22.

ووجهت حكمة أخرى النصيحة بشأن تربية الأطفال فقال:

«لا تعهد بابنك إلى مربية لينة فتهمله»[1].

وحث على عدم تفضيل أحد الأبناء على أخوته:

«لا تفضل واحداً من أطفالك على آخر، فأنت لا تعلم من منهم سوف يكون عطوفاً عليك»[2].

وذكر في حكمة أخرى أن تربية الأبناء السليمة هي التي تجعل منهم رجالاً يشرفون الأسرة:

«الابن هو الذي يجلب المجد لأبيه»[3].

كما حضت حكم أخرى الأبناء على حسن معاملة والديهم، فذكر:

«أخدم والدك ووالدتك يكتب لك الفلاح»[4]. وجاء أيضاً في مكان آخر: **«هذا الذي لا يحمل قمح والده، سوف يحمل التبن إلى مخازن الآخرين»[5].**

---

(١) Ibid., col. 13, 5.

(٢) Ibid., col. 13, 11.

(٣) Ibid., col. 10, 2.

(٤) Ibid., col. 6, 6.

(٥) Ibid., col. 10, 18.

أما فيما يتصل بمعاملة الخدم، فلقد وردت العديد من الحكم التي توضح كيفية معاملة الخدم وتحض على حسن معاملتهم، ومما جاء في ذلك:

«لا تسمح لنفسك بأن يفتقد خادمك الطعام والملبس»[1].

و «تكلم بود مع خدمك»[2].

كما ورد أيضاً أنه ما دام الإنسان قادراً على اقتناء خادم فيجب عليه أن لا يقصر في ذلك:

«لا تقصر في الحصول على خادم أو خادمة، إذا كنت تستطيع ذلك[3].

ومن القيم الأخلاقية التي حث عليها الحكيم الإيراني زرادشت.

أ ـ النظافة والطهارة:

فقد ورد في «الونديداد»:

«أنه ينبغي أن يتمتع المرء ببدن صحي سليم، ولذا فإنه من ضمن واجباته الدينية أن يحرص على نظافة جسمه ونظافة داره والحي الذي يعيش فيه، ومن خلال التمتع بهذه الصفات

---

(١) Ibid., col. 14, 19.
(٢) Ibid., col. 28, 13.
(٣) Ibid., col. 14, 19.

«يستطيع أن ينال الكمال والخلود»[1].

وفي حوار زرادشت مع إلهه أهورامزدا «يتساءل زرادشت عن عقاب من يهمل في أمور النظافة طبقاً لقانون أهورامزدا، فماذا يكون عقابه، فيجيب الإله بأن عقابه يكون بتقييد يداه أولاً وتجريده من ملابسه، وسلخ جلده ثم قطع رأسه»[2].

كذلك يحرص زرادشت على حض أتباعه على عدم تلويث الأرض التي يعيشون عليها، فقد ورد في الونديداد:

«يا خالق الحياة المادية، أنك مقدس، لو أن رجلاً يلوث الأرض فيلقي عليها بعظام كلب ميت، أو رجلاً ميتاً أو أي سائل، فكيف يكون عقابه.

يجيب أهورامزدا: ستون جلدة[3].

وتزداد العقوبة على من يكرر هذا الفعل حتى تصل إلى ألف جلدة»[4].

وطهارة الماء واجب ديني في تعاليم زرادشت، يجب الالتزام بها، فمن ألقى بحيوان ميت أو بجيفة في قناة أو مجرى ماء أغضب بذلك الملك أو الروح الذي يرعى الماء، وأصبح

---

(١) F.M. Muller, op. cit., vol IV, Part I, p. 119.
(٢) Ibid., p. 131.
(٣) Ibid., p. 67.
(٤) Ibid., p. 69.

نجساً إلى الأبد وإذا رأى الإنسان جيفة تسبح في مجرى ماء فعليه أن ينزل إلى الماء بدون تأخر، مهما كانت شواغله، وأن ينتشلها من الماء بدون تأخر، ويلقي بها في مكان منعزل، بعيداً عن الأماكن التي يرتادها الناس[١].

ب ـ حسن معاملة الحيوان:

ومن القيم الأخلاقية التي حث عليها زرادشت «حسن معاملة الحيوان» ولا سيما الكلب الذي كان له في الديانة الزرادشتية منزلة كبيرة، ويرجع السبب في ذلك إلى كون الكلب هو الذي يعين الراعي على حراسه غنمه، ويدفع اللصوص عن داره، ولذا وردت فقرات عديدة في الونديداد تنص على ضرورة الرأفة به، وتهيئة مرقد له صيفاً وشتاء، وعدم التواني في تقديم شرائح اللحم له. وقد اعتبر إيذاء الكلب من كبار المآثم والذنوب عند زرادشت، وقد ورد في الونديداد أن هناك عقوبات فرضت على من يطعمون الكلب طعاماً فاسداً، أو طعاماً حاراً يلتهب منه لسانه، أو طعام صلب تتهشم منه أسنانه، أو يتعرضون له بالضرب، فإن العقوبة تصل إلى ألف وأربعمائة جلدة[٢].

---

(١) محمد عبد السلام كفافي، المرجع السابق، ص ٢١٨.

(٢) F.M. Muller., op. cit., p. 180-181.

يتضح من الدراسة السابقة أن القيم الأخلاقية والسلوكية عند كل من عنخ شاشنقي في مصر وزرادشت في إيران قد تأثرت بالمؤثرات البيئية في البلدين، وكان للأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تأثيراتها على هذه القيم، وظهرت بعض أوجه التشابه في القيم الفكرية والسلوكية بين كل من عنخ شاشنقي وزرادشت، كما أنفردت تعاليم كل منهما ببعض القيم الأخلاقية والسلوكية، وهي في مجملها قد عبرت بصدق عن القيم الأخلاقية والسلوكية في كل من مصر وإيران خلال هذه المرحلة الهامة من تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

١ ـ ابن الفقيه (أبي بكر أحمد بن محمد) مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٣٠٢ هـ.

٢ ـ أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل): كتاب المختصر في أخبار البشر، الجزء الأول، بيروت، ١٩٥٦.

٣ ـ أبي الفتح محمد عبد الكريم، ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٦٨.

٤ ـ أحمد عثمان: الشعر الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً، الكويت، ١٩٨٤.

٥ ـ المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين علي): مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٥٨.

٦ ـ أمين عبد المجيد بدوي: القصة في الأدب الفارسي بيروت، ١٩٨١.

٧ ـ حامد عبد القادر: زرادشت الحكيم، القاهرة، ١٩٥٧.

٨ ـ عبد العزيز صالح: التربية والتعليم في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٦١.

٩ ـ علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، القاهرة، ١٩٨٤.

١٠ ـ فيليب عطيه: ترانيم زرادشت، القاهرة، ١٩٩٣.
١١ ـ نوري إسماعيل: الديانة الزرادشتية مزديسنا، دمشق، ١٩٦٧.
١٢ ـ يحيى الخشاب: تراث فارس، القاهرة، ١٩٥٩.

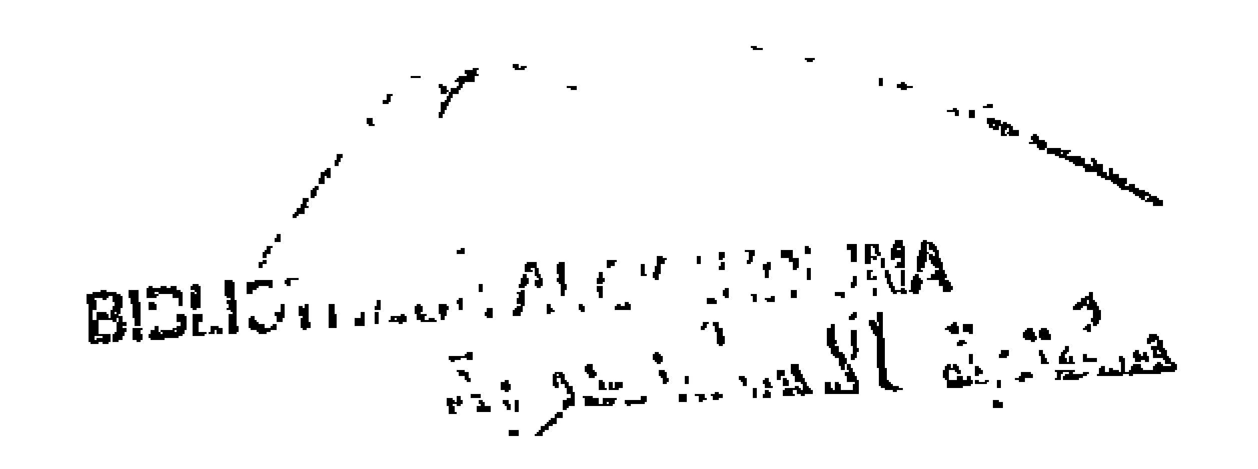
ثانياً: المراجع المترجمة إلى اللغة العربية:

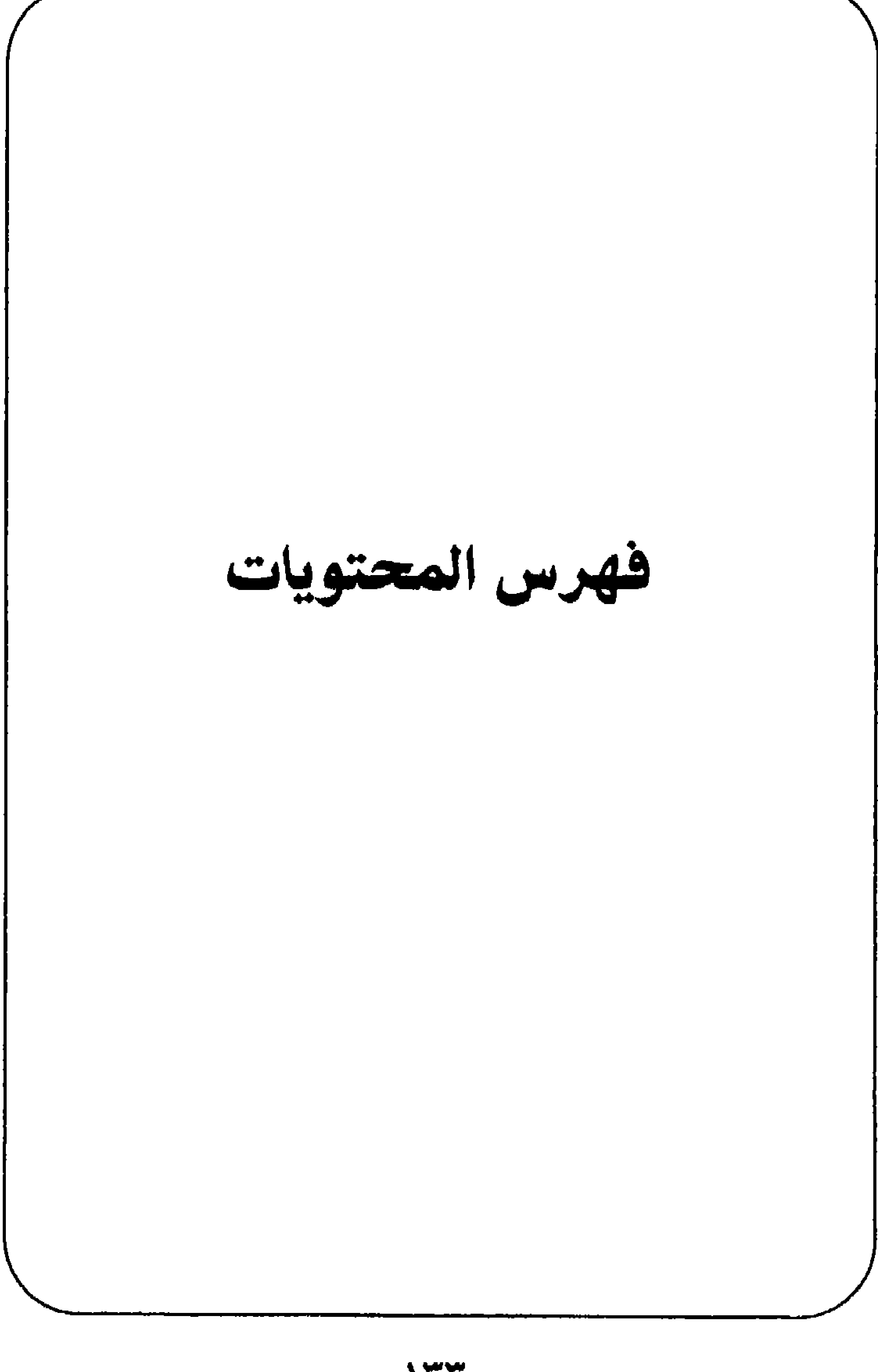
١٣ ـ حسن بيرينيا: تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العصر الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، مراجعة وتقديم يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٧٩.
١٤ ـ ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الجزء الثاني من المجلد الأول، القاهرة، ١٩٤٩.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

15 - Broune, E.G., A Literary History of Persia, vol. I, Cambridge, 1964.
16 - Cray, G.B, «The Reign of Darus» CAH., vol. IV, Cambridge, 1930.
17 - Dawson, M.M., Ethical Religion of Zoroaster.
18 - Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, vol. I, Oxford, 1968.
19 - Glanville, S.R.K., Catalogue of Demotic Papyri in the British Museum, vol. II, part 1, London, 1955.
20 - Herodotus, The Persian wars, translated by G. Rawlinson with an introduction by F.R.B. Godolphin, N. y., 1942.

21 - Hesiod, The Homeric Hymns and Homerica, with an English translation by H.G. Evelyn - white, London, 1964.
22 - Jackson, A.V.W., Zoroaster, the Prophet of Ancient Iran, N.Y., 1919.
23 - Lexa, F., Papyrus Insinger, tome 1er, Texte, transcription, traduction et commentaire, Tome II, vovabulaire, etude historique et grammatical, Paris, 1926.
24 - Licheim, M., Ancient Egyptian Literature, vol. III, California, 1978.
25 - Muller, F.M., The Sacred Books of the East, translated by L.H. Mills, vol. xxxi, part III, New Delhi, 1960.
26 - Muller, F.M., The Sacred Books of the East, translated by J. Darmesteter, vol., IV, part I, New Delhi, 1969.
27 - Olmstead, A.T., History of the Persian Empire, Chicago, 1966.
28 - Richard, A. Parker, Revue D'Egyptologie publece par la société Français D'Egyptologie, Tome 13, Paris, 1961.
29 - Smith, H.S., «A cairo text of part of the instructions of Onchsheshonqy» in JEA, 44, 1956.
30 - Spiegelberg, W., Der Sagenkreis des Konigs Petubasdtis, Leipzig, 1910.
31 - Walcot, P., «Hesiod and the instructions of Anchsheshongy» in JNES, vol. xxi, 1962.





فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس